# العلاقات الصينية العربية في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر: نموذج ثقافة الاعتراف الشرقي بين الحضارات

## *(Chinese-Arab Relations in the 18th & 19th Centuries: An Example of the Civilizational Recognition in the East)*

حسنة الغامدي [1*] / Hassna al-Ghamidi

**ملخص**

تمثّل العلاقات العربية الصينية إحدى أهم العلاقات الحضارية تألقاً في تاريخ الشعوب والثقافات، فمنذ نشأتها الأولى في عصور ما قبل التاريخ ووصولاً إلى نشأة العلاقات السياسية المعاصرة بين الطرفين سنة 1939 بعد ظهور ما يعرف بالدول القطرية الحديثة، و مروراً بمراحل التاريخ الصيني المتمثل في حكم الأسر الحاكمة أو عصور الخلافة التي تداولت على حكم العالم الإسلام؛ بقيت العلاقات الصينية العربية نموذجاً ناصعاً لتفهم الآخر وتقبل الحوار والتعايش بين الشعوب والأديان، وتبرز أهمية الموضوع في هذا العصر مع البروز الجديد للصين كقوة دولية عظمى باتت تسيطر على جزء كبير من حركة الاقتصاد العالمي، ولحاجة العالم العربي والإسلامي إلى إعادة رسم تحالفاته السياسية حيث باتت تحالفات القرن العشرين الناتجة عن مؤثرات الحرب الباردة بين المعسكرين الشرقي والغربي غير ذات نفع، خصوصاً مع بداية الانحسار السريع للسيطرة الغربية والأمريكية على وجه الخصوص على زمام الأمور الاقتصادية والسياسية في العالم مع مطلع القرن الواحد والعشرين. يتناول هذا المقال الجذور التاريخية للعلاقات العربية الصينية منذ بدايتها في حقب ما قبل التاريخ، وصولاً للقرن العشرين، وسيركّز المقال عن الجوانب المعرفية في تاريخية العلاقة بين الطرفين، حيث سيتم عرض الإنتاج المعرفي والعلمي من طرف كلا الطرفين عن بعضهما البعض لبيان الأصول التاريخية للصور الإدراكية الايجابية المتبادلة بينهما، ثم يعرّج البحث على المراحل التاريخية الكبرى للعلاقات العربية الصينية من مراحل ماقبل الإسلام، إلى مراحل وعهود الخلافة الإسلامية وصولاً إلى المرحلة الحديثة التي حكم فيها العثمانيون الأراضي العربية، ووصولاً إلى مرحلة تأسسّ الدول القطرية العربية في عالم ما بعد الحرب العالمية الأولى، ويختم البحث بتحليل تاريخي لنشأة التوجه الإيجابي في الصور الإدراكية لدى العرب والصينين عن بعضهما البعض.

**الكلمات الدالة:** العرب، الصين، العلاقات السياسية، السعودية، الجزيرة العربية، القرن 18، القرن 19.

**Abstract**

*Sino-Arab relations are one of the most significant bright cultural relations in the history of peoples and civilizations. From its first inception in prehistoric times and passing through the different stages in the Chinese history of the Imperial families' rule, and the ages of the Islamic Caliphate in the Muslim world to the emergence of contemporary political relations in 1939; the Sino-Arab relations remained a bright model of understanding one another and embracing the culture of dialogue and coexistence amongst peoples and religions. The significance of this topic is manifest in this time with the emergence of China as an international superpower that now controls a large part of the global economy, and it's also highlighted in the need of Arabs to redraw their century-old political alliances resulted from the impacts of the cold war between the East and West camps, particularly with the rapid decline of Western and US control and dominance on the global economy and politics with the beginning of the twenty-first century. This research examined the historical roots of the Arab-Chinese relations since its inception in the prehistorically age, all the way to the 18th and 19th centuries. In addition, the research focused on the cognitive aspects of the historical relationship between the two parties. The knowledge and scientific production of both parties is displayed in order to show the historical origins of the exchanged positive cognitive images between them. Then the article turned to address the major historical stages of the Arab-Chinese relations from the period before Islam, passing through the eras of Islamic caliphate and up to the modern Ottoman rule of the Arab lands, until the era of establishing Arab nation-states in the world after the First World War. The research is concluded by a historical analysis of the emergence of the exchanged positive trend in cognitive images of the Arabs and the Chinese for each other.*

***Keywords**: Arabs, China, Politics, Trade, Saudi Arabia, Arabic Peninsula, 18th century, 19th century*

### 1- مقدمة: الوثائق والبيانات التاريخية

بخلاف العلاقات العربية الأوروبية التي اتسمت عبر التاريخ بالحذر والعداء، زخرت العلاقات العربية الصينية بثراء عجيب انعكس على كافة قطاعات الحياة، وتجسّد في العديد من أوجه العلاقات كحجم التدوين والكتابة من كلا الطرفين عن الطرف الآخر، فالباحث في تاريخ العلاقات القديمة يقف على زخم تاريخي ثري جداً عمّقه تدوين الأباطرة الصينيين ليوميات البلاط الإمبراطوري بشكل حفظ تفاصيل الحياة السياسية اليومية، وبالتالي سُجلت ملامح

[*] قسم التاريخ. كلية الآداب والعلوم الإنسانية جامعة الملك عبد العزيز. جدة. (Dept. of History, Faculty of Arts and Social Sciences, King Abdul Aziz University, Jeddah.)

[1] تتقدم المؤلفة بخالص الشكر لعمادة البحث العلمي بجامعة الملك عبد العزيز – جدة، على دعمها العلمي والمادي بالمنحة البحثية رقم : (37/ -845 -148- G)

العلاقات الصينية الخارجية تباعاً لذلك، ولعل أول السجلات التي يمكن الإشارة إليها هنا كتاب Sima Qian المسمى Shi-Ji والذي يعتبر أب التأريخ الصيني والذي أثرت كتاباته في المراحل التاريخية اللاحقة في التاريخ الصيني، وأصّلت كتاباته لسياسة التوثيق اليومي لأحداث البلاط الامبراطوري في الصين، ويعود تاريخ هذا الكاتب إلى حوالي سنة 91 قبل الميلاد[2]، ويمكن من خلاله تلمّس تاريخ العلاقات الصينية الخارجية لفترة ما قبل التاريخ، ويليها من حيث القدم كتاب تاريخ أسرة هان المبكر Chien Han Shu والمؤلف من طرف Ban Gu سنة 90 م والذي يغطي أحداث الفترة ما بين 206 ق م إلى سنة 25 م[3]، كما يبرز كتاب Hou-Han-Shu المهم، والمكتوب في القرن الخامس الميلادي، والذي يغطي الفترة التاريخية ما بين 25 م إلى 220 م والذي يمكن من خلاله استشفاف العلاقات العربية الصينية في مرحلة ما قبل الإسلام[4]، ويلي هذا الكتاب تاريخياً كتاب تاريخ أسرة تانغ القديم المكتوب في منتصف القرن العاشر الميلادي والذي يغطي الفترة ما بين 618- 906م، وفيه بدأ تدوين العلاقات الصينية الإسلامية بشكل واضح وجلي ومفصّل في الكثير من اليوميات[5]، ويبرز بعد هذا الكتاب كتاب آخر مثير يعد من أشهر الكتب التي ساهمت في التثاقف الحضاري بين الحضارتين العربية والصينية يسمى بكتاب " سجلات السفر" ,Jingxingji الذي ألفه تو هوان Du Huan الذي وقع في الأسر بعد معركة نهر طلاس الشهيرة بين الصينيين والعرب سنة 751م وعاش في الأسر في بغداد عشر سنوات وعاد للصين سنة 762م. والكتاب يتسم بكثير من الصدق والدقة النابعة من الخبرة الشخصية، وصف فيه مؤلفه بشكل ايجابي جداً الحياة العربية في جملة من المدن والحواضر الإسلامية التي شاهدها[6]، ويليه تاريخياً كتاب تاريخ أسرة تانغ الجديد Hsin-Tang-Shu المكتوب في منتصف القرن الحادي عشر[7].

هذا عن الكتابات والوثائق الصينية أما عن الوثائق العربية وإن تأخرت تاريخياً عن نظيراتها الصينية لأسباب حضارية إلا أنها فاقتها اتساعاً وشمولا وفهماً لجغرافية العالم كونها انصبت في جهد حضاري عالمي انتقل به المسلمون إلى الريادة العالمية والتي استوجبت توزيعاً لمداركهم الجغرافية والسياسية والحضارية عن العالم، لذا جاءت الكتابات العربية أكثر تفصيلا ودقة وتنوعاً في وصف الصين والشعوب الصينية وباقي شعوب العالم من اليابان إلى أوروبا الغربية، وهو الأمر الذي اعترف به الباحثون الغربيون[8] حيث يشير كراتشكوفسكي إلى الاتساع العجيب لمعلومات العرب المسلمين عن العالم، مقارنة بما عرفه أبناء الأمم الأخرى المعاصرين لهم ومنهم الصينيون، حيث عرف العرب الصين والهند واليابان والفلبين وعموما جنوب وشرق آسيا، كما عرفوا أفريقيا الشمالية إلى خط عرض 10 درجات، وتعرفوا بشكل تفصيلي عن ساحل أفريقيا الشرقي إلى قرب مدار الجدي، كما وتعمقت معارفهم عن أوروبا بأجمعها باستثناء أقصى الشمال، وتركوا في أدبياتهم وصفاً دقيقاً لجميع النقاط المأهولة، والمناطق الزراعية، والصحارى وتبينوا انتشار النباتات المزروعة، وأماكن وجود المعادن[9]، وهو ما يعترف به برنارد لويس قائلا:« بينما كانت أوروبا معزولة بين المياه المتجمدة شمالاً، ومياه المحيط غرباً، والإسلام جنوباً والبراري شرقاً، أما الإسلام فكان على اتصال دائم مع الحضارات المزدهرة في الصين والهند، في ساعات السلم والحرب»[10].

وقد تجسدت المعرفة العربية بهذه العوالم ومنها الصين في شتى صور التأليف، وفي مقدمتها: الرحلات، التي قام بها الرحالة و التجار العرب الذين سلكوا الطريق البحري ودونوا مشاهداتهم للصين ولعل في مقدمتهم التاجر العماني أبو عبيدة عبد الله بن القاسم الذي غادر عُمان إلى كانتون عام 758م، وكان عالماً كبيراً في عصره وتاجراً كبيراً اشتغل بتجارة المر[11]. لكن أشهرهم هو سليمان التاجر (ت-871م) الذي عاش في القرن التاسع، وقام برحلته للصين سنة 851م، وخلدها في كتاب يعتبر أهم الآثار العربية عن الرحلات البحرية التجارية في المحيط الهندي، وبحر الصين، ولعله الأثر العربي الأهم الذي تحدث عن سواحل البحر الشرقي الكبير، والطريق الملاحي إليها على أساس الخبرة الشخصية، مع التزام الموضوعية، فكان كتابه تقريراً شخصياً لتاجر عبر البحر إلى الشرق الأقصى، إلى الصين، أكثر من مرة إبان القرن التاسع الميلادي.[12] وقد أعاد تدوين هذه الرحلة أبو زيد الحسن السيرافي في القرن العاشر الميلادي، وأعطاها الشكل المعروف لنا الآن[13]، وقد أضاف إلى هذه الرحلة رحلة ابن وهب القرشي التي تعود إلى عام 871م، أي بعد ما يقارب العشرين سنة من رحلة سليمان التاجر، تضاف إلى رحلات هؤلاء التجار رحلة النضير بن ميمون الأباضي البصيري إلى الصين وهو من أبناء القرنين الثامن والتاسع الميلادي[14].

---

[2] Jay, Jennifer "Sima Qian" *The Encyclopedia of Historians and Historical Writing*, Volume 2 edited by Kelly Boyd, Chicago: FitzRoy Dearborn, 1999, p 1094

[3] Dubs, Homer H. (trans.) *The History of the Former Han Dynasty*. 3 vols. Baltimore: Waverly, 1938, p 55

[4] Tan, Jiajian, *Hou Hanshu* (*Book of Later Han*). *Encyclopedia of China*, (Chinese Literature Edition), 1st ed. P 38

[5] Bai, Shouyi, *A History of Chinese Muslim (Vol. 2)*, Beijing: Zhonghua Book Company, 2003, p 122

[6] Bai, Ibid, p 49.

[7] Davis, Richard L. (2001). "Chaste and Filial Women in Chinese Historical Writings of the Eleventh Century". *Journal of the American Oriental Society*. 121 (2): 204–218.

[8] See: Hyunhee Park, *Mapping the Chinese and Islamic Worlds: Cross-Cultural Exchange in Pre-Modern Asia*, Cambridge University Press. 2012

[9] اغناطيوس كراتشكوفسكي. تاريخ الأدب الجغرافي العربي، ترجمة صلاح الدين عثمان هاشم. الإدارة الثقافية في جامعة الدول العربية. القاهرة. 1957. ج1 ص22

[10] برنارد لويس. الإسلام والغرب. دار الرشيد. مؤسسة الإيمان. بيروت 1994. ص11.

[11] البلاذري، فتوح البلدان، تحقيق، عبد الله وعمر أنيس الطباع، دار النشر. للجامعيين. 1957. ص 435 – 436؛ المسعودي، التنبيه والإشراف، وزارة الثقافة، دمشق، 2000م.ج1 ص 55

[12] حسين فوزي. السندباد القديم، مكتبة الانجلو مصرية، القاهرة، 1943. ص 22.

[13] شوقي ضيف. الرحلات، ط4. دار المعارف، مصر، 1987. ص 29.

[14] حسين نصار. أدب الرحلة. مكتبة لبنان، والشركة المصرية العالمية للنشر، 1991. ص 50؛ كراتشكوفسكي، تاريخ الأدب الجغرافي العربي، ج 1، ص 155.

ولعل أهم الكتابات التاريخية التي تجب الإشارة إليها في هذا المقام هي كتابات الرحالة الجغرافيون الذين ساهموا في تدوين العلاقات العربية الصينية وساهموا في حركة التثاقف المتبادل بشكل أكثر علمية وعمقاً ورصانة، ويقف في مقدمتهم اليعقوبي (ت897م) الذي كان معاصراً لأبي زيد السيرفي، و قام برحلات إلى الهند، والصين ويعتبر كتابه "كتاب البلدان" الذي أنهى تأليفه سنة 872م خلاصة لتاريخ وجغرافية العالم، تحدث فيه عن سعة بلاد الصين، وعظمة ملكها وقدّم ملاحظات هامة عن احتكاك العرب بالصين، والعلاقات البينية بين الحضارتين، ويليه تاريخياً المسعودي(ت 965م) الذي يرجّح كراتشكوفسكي أنه قد زار الصين وأرخبيل الملايو[15]، وقد التقى المسعودي بأبي زيد السيرافي عام 915م، وقد أخذ منه تفاصيل رحلة ابن وهب القرشي.[16] وقد خلّد المسعودري ملاحظاته في كتابيه الخالدين «مروج الذهب»، و«أنساب الأشراف». كما برز منهم ابن حوقل(ت 977م)، والبيروني (ت 1048م)، والإدريسي (ت 1166م)، وابن سعيد المغربي(ت1286)، ويمثّل ابن بطوطة (ت 1368م) كمال نموذج التثاقف العربي مع شعوب العالم الأخرى، حيث فصّل كما لم يفعل غيره في تفاصيل الحياة الاجتماعية والسياسية للصين بشكل فاق كل محاولات سابقيه. وكما وصل المسلمون الصين بحراً عن طريق التجارة البحري العالمي الذي كان يتسم بالأمن في معظم حقب تاريخ تطوره، فقد وصلوها براً عن طريق أواسط آسيا كما فعل تميم المطوع بن بحر في رحلته (760 م -800 م) التي وصل فيها إلى عاصمة الأويغور (قره بلاساغوه) على نهر أورخون وقد وصلتنا وقائع رحلته عن طريق كتابات ابن خردابة، وابن الفقيه وياقوت الحموي.[17] كما واشتهرت رحلة سلام الترجمان في القرن التاسع الميلادي، الذي يقال إنه أول من عبر الطريق البري إلى الصين، مبعوثاً من طرف الخليفة الواثق بالله (232هـ - 847م) ليستطلع حال سد الصين، بعد أن رآه في المنام وقد انهدم[18]، وقد كان حينها يعتقد على نطاق واسع أنه السد الذي بناه ذو القرنين لحجز يأجوج وماجوج، ولعل هذا الحلم المزعج يمكن تفسيره بالأخبار التي بدأت تنتشر حينها ووصلت أسماع الخليفة عن تحرك القبائل التركية في أواسط آسيا نحو الغرب نتيجة قضاء القرغيز على دولة الأويغور حوالي عام 840م .[19] كما اشتهرت رحلة أبو دلف مسعر الخزرجي (ت 1001م) الذي وصل الصين سنة 942م بتكليف من الأمير الساماني نصر بن أحمد، وقد حفظ لنا كل من ابن النديم وياقوت والقروييني مقتطفات من هذه الرحلة.[20] كما تجدر الإشارة في هذا المقام لرحلة المغامر محمد بن عبد الرحيم بن سلمان بن ربيع الغرناطي (ت-1170) البرية، حين غادر الأندلس سنة 1107م وشق عصا المغامرة والترحال شرقاً حتى وصل إلى مشارف الصين والهند، ثم اتجه حتى وصل منتصف القارة السوداء[21] وترك لنا رائعته «تحفة الألباب في نخبة الإعجاب» التي نقل فيها معلوماته عن الهند والصين عن رجل يدعوه «أبا العباس الحجازي» الذي أقام بأرض الهند والصين أربعين سنة[22]. يتضح من هذا الزخم التوثيقي العميق، العمق الذي وصلت إليه المعرفة العربية بالصين وأحوالها، كما يتضح حرص الجغرافيين والمثقفين العرب على اكتشاف أغوار سر الصين الذي توشحت كتابتهم عنه بكل أوصاف التبجيل والاحترام، ويلاحظ هنا الفرق بين الكتابة العربية عن الصين والكتابة الصينية عن العرب، حيث طبعت الأخيرة بطابع الكتابة الرسمية للدولة في شكل تعاليق الأرشيف وتقارير سفراء ومبعوثي القصر الإمبراطوري للبلاد العربية، وقلّت الكتابات الفردية القائمة على المغامرة الفردية وحب الإطلاع التي كانت ميزة أغلب الكتابات العربية، وهو ما يفسر التباين الحاصل بين العديد من الكتابات والأوصاف العربية للصين وأحوالها في كتب الرحالة والجغرافيين العرب. ولعل القاسم المشترك الذي يجمع بين كافة كتابات الطرفين عن بعضهما البعض هو النظرة الإيجابية وفلسفة التقبّل العربي للثقافة والحضارة الصينية، والتقبل والترحيب الصيني بالثقافة العربية والإسلامية، وهي ما يقودنا إلى التساءل عن سبب هذه التوافق والتعايش الحضاري، وعن أسسه الثقافية ومراحل تطوره التاريخية. في هذه الورقة سنعرض بالتفصيل للمنحى الإيجابي الذي صنع فرادة العلاقات العربية الصينية، وكيفية تطور الصور الايجابية لكلا الطرفين عن بعضها البعض.

## 2- بدايات العلاقات واحتماليات التاريخ

تفرض إشكالية البدايات التاريخية للعلاقات العربية الصينية نفسها بقوة أمام البحث التاريخي حيث تتناقض الروايات وتتضارب، إلا أن المؤكد والمتفق عليه هو أن البداية الرسمية والفعلية كانت مع نشأة أول كيان موحّد للأراضي العربية متمثلاً في الدولة الإسلامية وتحديداً إلى سنة 651م زمن الخليفة عثمان بن عفان. إلا أن العلاقات تعود إلى ما قبل هذه الفترة بكثير، تصل إلى حقب ما قبل التاريخ بدليل العثور على نقوش حجرية حميرية بخط المسند الحميري في جزر الهند الشرقية والفلبين، ويشير المؤرخ فيصل السامر إلى احتمال أن تكون هذه البقايا آثار لمركز تجاري قديم اعتاد العرب على ارتياده[23]، ويعود تاريخ هذه العلاقات إلى البدايات التاريخية لطريق الحرير القديم في القرن الثاني قبل الميلاد وهو أمر طبيعي كون العرب يحتلون الجغرافيا الوسيطة والواصلة بين أقصى الشرق وأقصى غرب العالم القديم، إذ تشير المصادر الصينية إلى أنه في نهايات القرن الميلادي الثاني قام الصيني Zhang Qian برحلة مشهورة إلى الأقاليم الغربية حيث زار العراق وظهر بنفسه في البلاد الفارسي عام 115 ق م[24]، مما يشير إلى السعي الصيني الحثيث لانجاح طريق التجارة العالمي الجديد، والذي وضعت الجغرافيا العرب في القلب منها، فقد مارس العرب القاطنون على الحافة الجنوبية من الجزيرة العربية (حضر موت، عدن، وجزيرة سقطرة) دور الوسيط التجاري ما بين عالم المتوسط وبلاد الشرق منذ القديم، حتى أثناء سيطرة اليونان ومن بعدهم الرومان على مصر وبعض بلدان المشرق العربي، فكانوا يأتون من الشرق الأقصى بالأحجار الثمينة والتوابل والسلع الصينية مقابل

---

[15] كراتشكوفسكي، المرجع السابق، ج1، ص 178.

[16] السيرافي أبو زيد الحسن. رحلة السيرافي. تحقيق عبد الله الحبشي (مقدمة المحقق)، المجمع الثقافي، أبو ظبي، 1999، ص 8.

[17] س. آي. بوسورث. آسيا الوسطى، تراث الإسلام، ج1 تصنيف شاخت وبوزورث، ترجمة محمد زهير السمهوري، (سلسلة عالم المعرفة)، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1980، ص 188.

[18] Hyunhee Park, Mapping the Chinese and Islamic Worlds, p 66.

[19] كراتشكوفسكي، المرجع السابق، ج1، ص 148-156.

[20] حسين نصار. أدب الرحلة. مكتبة لبنان بيروت والشركة المصرية، القاهرة، 1991.ص 42.

[21] الكيلاني، صورة شعوب الشرق الأقصى في الثقافة العربية الوسيطة، ص 31

[22] محمد بن عبد الرحيم القيسي الغرناطي، تحفة الألباب في نخبة الإعجاب، تحقيق اسماعيل العربي،المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1989.

[23] فيصل السامر، الأصول التاريخية للحضارة الإسلامية في الشرق الأقصى، بغداد، 1977،

[24] جعفر كرار احمد، العلاقات التاريخيه بين شبه الجزيره العربيه و الصين منذ ظهور الإسلام و حتى اوائل القرن العشرين، مجله دراسات الخليج والجزيره العربيه، ص 130

بضائع مصرية ومتوسطية كانوا ينقلونها للصين والهند، وبفضل هذه التجارة الرابحة، وتلك الاتصالات المستمرة شيّد العرب حضارة زاهية مركزها سبأ.[25] و باتوا أكثر الشعوب حيوية وسيطرة في عالم التجارة إلى درجة أثارت إعجاب اليونان الذين عبّر منهم المؤرخ أغاثار كيدس (ت-183 ق م) عن إعجابه مشيراً إلى أنه لم يكن هناك أمة أغنى من الجراهمة و السبئيين بسبب سيطرتهم في طريق التجارة بين آسيا وأوروبا[26]، واشتهر تغنّي المؤرخ أغاثار وتبجليه هو ومواطنه اليوناني الآخر المؤرخ سترابو لمدينة جرة العربية ( هجر- الأحساء-) التي اشتهرت في تاريخ التجارة في العالم القديم. ويتكرس هذا التبجيل من خلال دراسة (الدليل البحري الأرثيري Erghreem) الذي ألفه اليونان في أواسط القرن الأول الميلادي، والذي يشير إلى أن اليونانيين كانوا يدركون أن هناك أربع مناطق كبرى ذات موارد طبيعية، أو مصنعة، يمكن أن تتبادل فيما بينها السلع، اثنتان في الطرفين الأقصيين، الهند، والصين والإمبراطورية الرومانية، ومنطقتان في الوسط، جنوب الجزيرة العربية وشرق أفريقية.[27] وقد أدرك الرومان أيضا دور العرب وأهمية دورهم في التجارة العالمية من الصين إلى البحر المتوسط إذ يقول الكاتب الروماني بلينوس الأكبر معجَباً، الذي عاش في القرن الأول ميلادي: «إن العرب يعيشون مما تعطيهم البحار»[28].

وقد تكثفت العلاقات العربية الصينية بعد ميلاد المسيح، نظرا لغياب أي منافس قوي للقوة التجارية العربية، ووردت في الوثائق الصينية الكثير من النصوص التي تشير إلى وصول تجار عرب إلى بلاط الإمبراطور الصيني، إلى درجة أن هذه الوثائق تشير إلى بداية تكون جالية عربية في الصين قبيل ظهور الإسلام، حيث دفعت كثافة التبادل التجاري بعض العرب إلى الاستقرار في الصين لمتابعة تجارتهم والإشراف عليها، حيث تشير هذه الوثائق إلى أن الوجود العربي في الصين تزامن مع بداية عصر أسرة تانغ (618-907م) وقبل ظهور الإسلام في الجزيرة العربية، وأشارت إلى أنه قد كان هناك رعايا عرب ضمن رعايا تلك الأسرة وكانت لهم نشاطات تجارية وصناعات متعددة، إلى درجة أنهم أسسوا لهم مصنعاً بمدينة Guangzhou وذلك في حدود عام 622 م ميلادي أي سنة الهجرة النبوية[29].

الغريب في الأمر أن دقة الوثائق الصينية وتفاصيل تسجيلهم لكافة الأحداث والأخبار الواردة للبلاط الإمبراطوري مكنتهم من رصد الأخبار الأولى للرسالة الإسلامية أيام الدعوة الأولى في مكة، حيث يشير كتاب تاريخ أسرة تانغ القديم Shu Tang Old" إلى أحداث الدعوة قائلاً: كان الأمر في بلاد Tashi (العرب) الواقعة غرب Xi An (الفرس) في يدي قبيلة قريش التي يتفرغ منها بنو هاشم وبنو مروان ومن البيت الهاشمي ظهر رجل شجاع وذكي فحارب خصومه وأصبح حاكماً على يثرب"[30] وهنا تفرض رواية الأربع دعاة الأوائل نفسها على التحليل التاريخي والتي توردها مصادر أسرة مينغ وتقول أن أربعة رجال من شبه الجزيرة العربية وصلوا إلى الصين أثناء حياة الرسول نفسه بغية نشر الإسلام بها، وقد استقر أولهم في Quang Zhou بينما استقر الثاني Zhou Yang وانتهى المقام بالصحابيين الثالث والرابع بمدينة Zhou Qang وقد عثر على قبور هؤلاء الصحابة وهي مزارات يزورها مسلمو الصين. وقد عثر في أحدهم على كأس زرقاء مكتوب عليها بالعربية " الله أكبر" وهو ما يلفت الانتباه إلى احتمال وصول بعض الصحابة الذي هاجروا إلى الحبشة زمن هجرة الحبشة الأولى إلى الصين، ويعتمد على هذه الرواية العجيبة Tshu Jiang في تأكيد أن الإسلام وصل الصين إبان حكم الإمبراطور Gao Zu (618-626) أي في زمن حياة الرسول في مكة، وهو ما يتفق معه كتاب تاريخ فوجيان، إذ تعتبر هذه الرحلة أول رحلة دينية دعوية إلى بلاد الصين[31]

### 3- العلاقات في عصور الخلافة العربية

انتقلت العلاقات الصينية العربية إلى مرحلة جديدة بعد الهجرة النبوية ونشأة الكيان السياسي الموحد لكافة الأراضي العربية، و ظهور العرب والمسلمين كأهم قوة عالمية تتربع على قلب العالم القديم، وهو الأمر الذي أدركه الصينيون باكراً وبشكل ذكي جداً لذا حرصوا على مخاطبة ودّ هذا الكيان السياسي الصاعد وعدم الدخول في مغامرة عسكرية أو سياسية ضده، لذا اختاروا النأي بأنفسهم - كما تؤكد المصادر التاريخية الصينية والعربية- عن الصراع الإسلامي الفارسي، حيث تشير الوثائق إلى وصول سفارة فارسية أرسلها ملك الفرس يزدجرد إلى البلاط الصيني يطلب فيها العون العسكري ضد المسلمين كان ذلك سنة 638م زمن خلافة عمر بن الخطاب، كما أرسل ابنه فيروز سفارة ثانية سنة 650م يطلب فيها المدد من الصينين، الذي يبدوا أنهم درسوا جيوبوليتكا الصراع جيداً واعتذروا متعللين ببعد المسافة بين الصين وفارس، وقد صدقت تكنهات الصينين حيث وصل إلى بلاط الامبراطور الصيني بعد خمس سنوات من سفارة يزدجرد وفد من الروم ومنافسيهم الفرس يخبرونه بهزيمتهم وانتهاء ملكهم في الأراضي العربية التي كانوا يحتلونها[32]. هذه الحيادية الصينية تمثّلت عبر عقود العلاقات المشتركة بين الطرفين، والتي حرص فيها الصينيون على ربط علاقات سياسية وطيدة مع المسلمين، كما حرص المسلمون على بناء علاقات سياسية سلمية مع الصينيين حفاظاً على امتيازاتهم التجارية مع هذه الامبراطورية التي كانت تسيطر على الصناعة في التاريخ الوسيط، وقد بدأت هذه العلاقات بشكل رسمي في عهد عثمان بن عفان الذي سجّل سفارتين بين الطرفين، أرسل الخليفة عثمان أولها سنة 651م برئاسة سعد بن أبي وقاص، أيام امبراطور الصين، كيوتسنغ، Kgu-Tswng،[33] إذ تشير السجلات الصينية بخصوص

[25] د. مقبول أحمد. العلاقات التجارية بين الهند والعرب. مجلة ثقافة الهند. المجلد الحادي عشر. العدد الثالث. يوليو /1960. ص 103 - 105.
[26] جعفر كرار احمد، العلاقات التاريخيه بين شبه الجزيره العربيه و الصين، ص 130
[27] نقولا زيادة، مشرقيات: في صلات التجارة و الفكر، رياض الريس، لندن، 1998، ص 84 - 86.
[28] مجموعة من الباحثين، دراسات في تاريخ الثقافة العربية القرن 5 – 15، أكاديمية العلوم في الاتحاد السوفياتي، ترجمة د. أيمن أبو شعر، دار التقدم موسكو، 1989، ص 367.
[29] كرار، العلاقات التاريخيه بين شبه الجزيره العربيه و الصين ،ص 135
[30] كرار، المرجع نفسه، ص 137
[31] كرار، المرجع نفسه، 138
[32] كرار، المرجع السابق، ص 139
[33] مجموعة من الباحثين، دراسات في تاريخ الثقافة العربية القرن 5 – 15، ص 370 - 371.

هذه السفارة إلى وصول وفد عربي إلى عاصمة الصين، في السنة الثانية من عهد (بو نخوى)، التي توافق سنة 651م، وكان غرض البعثة تعريف الامبراطور برسالة محمد (ص) ودعوته للدين الجديد، وقد لحقت هذه السفارة سفارات كثيرة أخرى تحدث عنها (تاريخ الصين) لعهد نانغ لكنها أغفلت في أكثرها في كتابات المؤرخين المسلمين. وقد سجلت السجلات الصينية القديمة وصول أربعة وثلاثين سفارة من بلاد تاشي (بلاد العرب) في قرن ونصف، أي من سنة 651م إلى 800م حسب احصاء الموسوعة الصينية Shu Tang، و قد كانت السفارات في زمن بني أمية أقل شأناً بالمقارنة مع الحقبة العباسية بالرغم من وصول عدد سفارات الأمويين 17 سفارة من بين 34 سفارة المذكورة في السجلات، بينما بلغ عدد سفارات العباسيين إلى 15 سفارة زمن العباسيين، ولعل سبب أهمية سفارات العباسيين عن مقابلتها الأموية يرتبط بالأفضلية التي اكتسبها العباسيون بعد هزيمتهم النكراء للجيش الصيني في معركة وادي طلاس سنة 751م، وهي نقطة الصدام الوحيدة بين الطرفين لكنها محورت العلاقات في شكل علاقة الغالب والمغلوب، وأثرت بشكل إيجابي على غير العادة في العلاقات بين الطرفين. والغريب أن الكتب العربية لم تذكر إلاَّ عدة بعثات، منها البعثة التي أرسلها قتيبة بن المسلم (ت-750م)، وتلك التي أرسلها أبو جعفر المنصور. هذا في مقابل الفيض التوثيقي الصيني الذي فصّل في أخبار وفود عرب يعرفون باسم (خئي تاشي) «الملابس السود»، أي العباسيين، وعن رسل عرب يعرفون باسم ( يئي تاشي )«اللباس الأبيض»، أي الأمويين[34]. ولم تتوقف السفارات العربية للصين في أواسط العصر العباسي ونهايته حيث تؤرخ الوثائق الصينية لعشرين سفارة قصدت الصين بين عامي 960م - 1280م[35]، فعلى الرغم من الانقطاع الذي أصاب العلاقات الديبلوماسية في القرن التاسع الميلادي بسبب الاضطرابات التي قضت على حكم أسرة تانغ سنة 906م، وتدوال خمس أسر ضعيفة الحكم ولفترات قصيرة الحكم في الصين مما أدى إلى قطع الصلات بين بغداد والصين ما بين 850م – 950م، إلى حين صعود أسرة سونغ إلى سدة الحكم والتي استطاعت استعادة الاستقرار السياسي للصين وبالتالي عادت علاقاتها السياسية والتجارية مجددا مع الدولة العباسية، وبعد هذه الفترة تكاثرت السفارات بين الطرفين حتى وصلت خمس وعشرين سفارة عربية إلى الصين ما بين 960م إلى 1114م كما يذكر كتاب( تاريخ الصين) أغلبها وصلت عبر البحر. وكما نشأت العلاقات بين الصين وبغداد؛ نشأت العلاقات بين الصين والدويلات التي انفصلت عن الدولة العباسية كالدولة السامانية التي أرسل حاكمها نصر بن أحمد الساماني ابن دلف سفيراً له لبلاد الامبراطور الصيني[36]. وهو الحال نفسه عندما سيطر المغول على الدولة الإسلامية في القرن الثالث عشر حيث باتت العلاقات الإسلامية الصينية تنشط بين الدويلات التي خضعت لحكم المغول وبين الصين التي خضعت هي نفسها لسلالة يوان المغولية سنة 1279م على يد المغولي قوبلاي خان[37].

هذا عن العلاقات السياسية أما عن العلاقات التجارية فقد استمرت وازدهرت بسبب استتبات الأمن في أواسط آسيا عصب طريق الحرير والذي بات تحت السيطرة التامة للمسلمين كما واستتب الأمر للمسلمين في المحيط الهندي بعد دخول أغلب مدن الموانيء الرئيسية في الإسلام خصوصاً في جنوب فارس والهند وبلاد البنغال، فكانت سفن المسلمين التجارية في ذلك العصر تصل بكل حرية إلى بحار الصين، كما كانت مراكب الصين تختلف إلى عمان وسيراف والأبله والبصرة[38]، كانت سيراف هي الفرضة لبضائع الصين، بل كانت بضائع اليمن المرسلة إلى الصين تُحمل على مراكب إلى سيراف، وبلغت المكوس التي كانت تؤخذ من المراكب بها حوالي آخر القرن الثالث الهجري نحواً من مائتين وثلاثة وخمسين ألف دينار كل عام كما يشير البلخي[39]. وقد تطورت التبادلات التجارية إلى درجة بروز الحاجة إلى إنشاء مراكز تجارية إسلامية في مناطق عديدة من الصين، وتشير كتب الرحلات الإسلامية في أوائل القرن التاسع الميلادي إلى أنه كان على رأس الجالية الإسلامية في كانتون رئيس مسلم يعيّنه امبراطور الصين، وكان هذا الرئيس يقضي بين أفراد الجالية بأحكام الشريعة[40]. واستمرت العلاقات الصينية العربية على أحسن حال حتى ثورة هوانغ تشو 878م وقضائه على حكم أسرة تنغ الملكية واستلائه على الحكم[41]. هز هذا الحدث المهيب عمق العلاقات بين الطرفين فقد فسدت أمور الصين وأغلقت الموانيء عن الحركة التجارية، و يؤكد ابو زيد الصيرافي أن أزيد من 120 ألف من التجار المسلمين واليهود والنصاري قد قتل في الأحداث التي تلت هذه الأحداث[42]، بينما يشير متز إلى أن الثائر هوانغ تشو قتل أزيد من مائتي ألف من المسلمين ومن غيرهم مدمراً بذلك متانة العلاقات الصينية العربية التي اتسمت بالتوافق والسلام طيلة القرون التي سلفت،[43] إلا أن هناك رأياً آخر يبرز في هذا المضمار يعزو تدهور العلاقات العربية الصينية إلى ما قبل ثورة هوانغ تشو، وتحديداً إلى الثورة التي قامت بها الجالية الإسلامية في كانتون عام 758م على السلطات الصينية.[44] وهو رأي لا يقف على منطق قوي، حيث لم تكن الجالية المسلمة قد قويت سنة 758م في الصين إلى درجة أن تقوم بثورة داخل الأراضي الصينية.

استمر الحال على ماهو عليه من تدهور للعلاقات بين الطرفين، ولم يتجدد الاتصال المباشر حسب كراتشكوفسكي إلا في القرن الثالث عشر.[45] ويشير الحوراني إلى أنه عندما انقطعت الرحلات المباشرة إلى كانتون، تولى الصينيون نقل سلعهم إلى كله (ملقا، ماليزيا) أين كانوا يلتقون بالتجار العرب ويتبادلون معهم سلعهم، في خطوة مهدت لاحتكار السلطات الصينية للتجارة الخارجية بشكل تام عام 980م[46].

---

[34] بدر الدين حي الصيني، العلاقات بين العرب والصين، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1950، ص180-181.
[35] مجموعة من الباحثين، دراسات في تاريخ الثقافة العربية القرن 5 – 15، ص 370 - 371.
[36] الكيلاني، المرجع السابق، ص 14
[37] بدر الدين حي الصيني، العلاقات بين العرب والصين، ص188-206.
[38] آدم ميتز، الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، ترجمة، محمد عبد الهادي أبو ريده، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ط2، القاهرة 1948، ج2ص 325.
[39] ميتز، المصدر نفسه. ص 322.
[40] ميتز، المصدر نفسه. ص 324.
[41] عزيز العظمة، عزيز العظمة، العرب والبرارة: المسلمون والحضارات الأخرى ، لندن، رياض الريس، 1991، ص 19.
[42] كرار، المرجع السابق، ص 141
[43] ميتز، المرجع السابق، ج2، ص 325.
[44] س. أي. بوسورث، آسيا الوسطى: تراث الإسلام، ص 186 - 187.
[45] كراتشكوفسكي، تاريخ الأدب الجغرافي العربي، ص 332

**4- العلاقات في العصور الحديثة حتى القرن الثامن عشر**

أدى الزحف المغولي على أراضي الدولة الإسلامية في أواسط آسيا ثم استلائهم على الصين إلى فتور العلاقات بين الصين والمركز في بغداد إن لم نقل انتهائها بشكل تام بسبب تفتت الدولة الإسلامية، واقتصرت العلاقات على الدويلات التي قامت على انقاض الخلافة العباسية و فتحت قنوات تواصل خاصة لها مع الصين سعياً وراء فرص تجارية كانت لازلت ممكنة حتى تحت حكم أسرة يوان المغولية للصين، وبقيت الأمور على ما هي عليه إلى حين قيام حكم أسرة مينج (1368-1644)[47] التي أعادت للصين مجدها التجاري القديم، واستمتعت الصين في ظل حكمهم بثلاث قرون من الرخاء والازدهار، إلى درجة ظهور نزعة العظمة عند الحكام الصينيين، وتطور مفهوم ابن السماء الذي تبناه أباطرة الصين في تخمة ازدهار حكم عائلة مينغ، والذي حاولوا استخدامه لبسط نفوذهم على شعوب وأمم العالم، وهو ما جسدته بالفعل الحملات البحرية السبعة الضخمة التي قادها الأدميرال المسلم تشينغ خه، على مدار 28 سنة، جاب فيها العالم، معرّفاً بقوة دولته ومؤسساً لعلاقات ديبلوماسية استمت في الكثير من أدبياتها ومراحلها بشعور الفوقية الذي استحكم في العقلية الصينية الحاكمة حينها، ونشأ لدى أباطرة الصين حينها وهم امبراطورى يرى بأن حاكم المملكة الوسطى (الصين) له السيادة على كل ما تظلة السماء، لذا على كل شعوب الأرض أن تخضع لإرادته وترضيه بدفع الجزية[48]، لذا سعى الصينيون لإعادة جسر العلاقات العربية الصينية من هذا المنطلق، وتم فعلا استعادت العلاقات في عصر الامبراطور الثالث في أسرة مينج يونغ لي Le Yong الذي وجه تشينغ خه[49] لإطلاق رحلاته التي زار فيها مكة المكرمة والأجزاء الشرقية من الجزيرة العربية، وحاول ربط علاقات سياسية مهيمنة على كافة دويلات المنطقة من خلال فرض الجزية على الدول الوطيدة مع أمراء المدينة المنورة والإحساء، مما قسم ردات الفعل العربية إلى اتجاهين، اتجاه رفض هذه النزعة الاستعلائية، تمثله دولة الجبور في الأحساء التي لم ترحب بالتبادل التجاري الممزوج بالدبلوماسية الماكره أو ما يعرف بتجارة الجزية، مما دفع الطرفين إلى الاصطدام حسب المؤرخ الصيني لو ماودينج الذي أشار إلى اندلاع اشتباك مسلح بين الجبور وأسرة مينج، حيث حاصر الأسطول الصيني مدينة الأحساء بحرياً، و ضربت المدينة بالمدفعية لكن الحصار لم يطل نظرا لقناعة الصينين بأن احتمالات هزيمة العرب في الصحراء ليست سهلة وليست مضمونة المخاطر[50]، وهو السبب الذي يفسر كثرة ذكر دولة الجبور ومدينة الأحساء في وثائق أسرة مينغ حيث تعتبر الأحساء أول دولة توجد لها وثائق رسمية في سجلات أسرة مينج، وذلك يرجع لصلابتهم أمام إرداة الهيمنة الصينية و لشهرة أهلها ولا سيما بني عقيل الذين عرفوا بتجارتهم الواسعة شرقا وغربا.

والاتجاه الثاني اعتمد أسلوب المداهنة وتجنب الصدام مع الصينين كما فعل الملك الناصر أحمد بن إسماعيل الرسولي الذي كان يحكم اليمن(1454-1229م) (زمن وصول أسطول تشينغ خه، فقد استقبل الأدميرال البحري وقبل منه هداياه الفخمة[51] لكن تشينغ خه لم يقبل الأرض بين يدي الناصر كما جرت العادة بل خاطبه قائلا: "سيدك، صاحب الصين، يسلم عليك ويوصيك بالعدل في رعيتك". فابتلع الناصر هذه الإهانة ورد عليه قائلا له مرحباً ونعم المجيء جئت، وأكرمه وأسكنه بدار الضيافة، ثم كتب الناصر إلى صاحب الصين كتاباً يقول فيه "الأمر أمرك والبلد بلدك، وجهز له من الوحوش البرية والثياب الفاخرة السلطانية، جملة مستكثرة وأمر بتشييعه إلى مدينة عدن" [52]، ويكشف ابن الديبع عن كتابه مدى غضب الملك الناصر من أسلوب التعامل والتخاطب معه من طرف المبعوثيين الصينيين، معرباً عن استغراب الناصر من جهل الصينين بأحوال الناس والدول، واعتقادهم أن كل الشعوب خاضعة لإرادتهم [53] وهنا نشاهد الموقف الذي تعامل به الملك الناصر الرسولي مع المبعوثيين الصينيين فعلي الرغم من أنه اعترض على الأسلوب الدبلوماسي التملقي الذي يحبه أمبراطور الصين إلا أنه رفض الدخول في حرب معه مثل الجبور حكام الأحساء، وتصرف بدبلوماسية شديدة

---

[46] جورج فضلو حوراني، العرب والملاحة في المحيط الهندي في العصور القديمة وأوائل القرون الوسطى، ترجمة يعقوب بكر، مكتبة الانجلو مصرية، بدون تاريخ، ص 226.

[47] يذكر الباحث الصيني هوي تشانغ فرضية غير مثبتة تاريخياً وهي أن مؤسس أسرة مينغ الصينية الإمبراطور هونغ وكان مسلما لكنه لم يصرح باعتناقه للإسلام' ويستدل بذلك أن في تراثه أزيد من 100 رسالة يمدح فيها الإسلام، ويسند رأيه بأن هذا الإمبراطور شجع على بناء المساجد في المدن الصينية كما عمل على احضار أسر عربية وفارسية إلى الصين، كما كان 10 من قادة جيوشه من المسلمين، منهم القائد العسكري الشهير يوتشن تشانغ يو لان. انظر:

Shoujiang Mi; Jia You. Islam in China, trans by Min Chang, China Intercontinental Press, ,2004 p35

Tan Ta Sen; Dasheng Chen .(2000) Cheng Ho and Islam in Southeast Asia. Institute of Southeast Asian Studies. p.170

Maria Jaschok, Jingjun Shui .(2000) The history of women's mosques in Chinese Islam: a mosque of their own, Psychology Press. p.77

[48] عبد الله أحمد محيرز، رحلات الصينيين الكبري إلي البحر العربي، دار جامعة عدن للطباعة، عدن 2000م، ص5، 59-60.ويؤكد هذا الوهم الامبراطوري الذي استحكم في عقلية أباطرة أسرة مينغ النقش الأثرى الموجود على عمود حجرى أقامة القائد البحرى تشينغ خه فى معبد بوذى قريب من شنغهاى جاء فيه: " أن جميع البلدان الواقعة وراء الأفق وفى أقاصى الأرض أصبحت تابعة لنا جميعاً من أقاصى الغرب إلى أقاصى الشرق ومن أقاصى الشمال إلى أقاصى الجنوب مهما تبتعدت ومهما كانت الميافات والطرق التى تفصل بينها وهكذا فبرغم بعد بلادهم حقاًفها هم البرابرة من وراء البحار جاءوا يحملون الاشياء والهدايا الثمينة ". نشر النص المنقوش في دورية Journal Kuo – feng و ذلك سنة 1935م علي يد العالم الصيني الجليل Cheng Hao – sheng، أما النص الأصلي فيوجد علي حجر في متحف تيان – في Tien – fei الموجود في اقليم tsang – T,ai بدولة الصين وحول ذلك راجع:

F.Hirth, Ancient Porcelain: a study in Chinese mediaeval in dustry and trade, reprinted the j.of the china branch of the r.asitat.soc,1888,p.58-60.

[49] هيلدا هوخام: تاريخ الصين: منذ ما قبل التاريخ حتى القرن العشرين، ترجمة أحمد اشرف كيلاني، المركز القومي للترجمة، دمشق، ص 358-263_

[50] يذكر المؤرخ الصيني لو – ماودينج، في كتابة ( رحلات الفتي سان باو في البحر الغربي ) و الذي يقع في 1000 صفحة تقريبا وكتب عام 1597م تمجيدا لرحلات القائد تشينغ خه او سان باو والذي حرف في الأدب الشعبي العربي و الهندي بأسم السندباد البحري و ذلك نسبة لأصل تشينغ خه العربي و ديانته الاسلامية، إن القوات الصينية استخدمت العنف في الأحساء و مقدشيوا لأن حكامها رفضوا الانسياغ للاوامر الامبراطورية و رفضوا تجارة الجزية مع الصين. انظر

Luo Maodeng, annotated by Lu Shulun and Lan Shaohua, *Sanbao Taijian xia Xiyang ji tongsu yanyi*) Popular romance of the journey to the Western Ocean of the Three Treasure Eunuch), Shanghai: Shanghai Guji Chubanshe, 1985.,p.50-57; Geoff Wade: op.cit ,p.17-18

[51] عبد الله أحمد محيرز، رحلات الصينيين الكبري إلي البحر العربي، ص5، و 59-60.

[52] عبد الرحمن بن علي الديبع، الفضل المزيد علي بغية المستفيد في أخبار مدينة زبيد، مركز الدراسات و البحوث اليمني، صنعاء 1983م، ص 107.

[53] ابن الديبع: قرة العيون بأخبار اليمن الميمون، مطبعة السعادة، القاهرة، 1977م، ج 2، ص 123.

الذكاء عن طريق اعتراض داخلي مكتوب يظهر مدي غضبه من أسلوب امبراطور الصين المتعالي المغرور، ومع هذه النزعة الصينية المتعالية التي كان يغذّيها قدوم الوفود الأجنبية للصين محملة بالهدايا ومخاطبة لود الأمبراطور الصيني تواصلت السفارات العربية من باب الأمر الواقع، كون أغلب السلع المصنعة التي تحتاجها الأسواق العالمية كانت تأتي من الصين حينها. يذكر كتاب تاريخ أسرة مينغ أنه خلال حكم الامبراطور Xuan zong))( (1425-1435قام ثمانية من ملوك وأمراء شبه الجزيرة العربية بإرسال بعثات إلى البلاط الصيني كان من ضمنها بعثات من أمراء المدينة المنورة والأحساء [54]، كما أن سلطان مكة الشريف بركات قام عام 1518 بإرسال وفود إلى الصين قدمت لإمبراطورها عدداً من الخيل كهدية، كما قام أمير مكة بإرسال بعثة أخرى سنة 1525.[55]

واستمرت العلاقات في شكل وطيد وودي إلى نهايات عصر أسرة مينغ حيث يذكر المبشر والسفير البرتغالى بينديكت جويس Goes Benedict الذى وصل لبلاط الامبراطور الصيني عام 1650 أن " أن البلدان الأجنبية كانت تبعث سفارات إلى الصين قدّر المبشر عددهم بـ72 مندوبا أو سفيرا لتقديم الهدايا إلى الامبراطور، وكان معظم المندوبين من التجار وكانت نفقات الرحلة ذهاباً وإياباً على حساب الحكومة الصينية[56]، في ظل هذا التواصل العربي الصيني ظهرت عدة رحلات شخصية متبادلة تعرف من خلالها الطرفان على تفاصيل الحياة السياسية والثقافية والاجتماعية في الطرف الآخر، ونورد هنا نموذج رحلة ماهوان لمكة المكرمة، ووصف أهل مكة والحياة فيها في وصف مبهر جداً، وأعرب عن شدة إعجابه بالثقافة العربية الإسلامية[57] كما وقدّم للصينيين تفاصيل عن الدين الإسلامي وتعاليمه وما تركته تعاليمه من أخلاق في المجتمع كغياب السرقة والجرائم والتواضع والمساواة بين الأغنياء والفقراء وغيرها من الميزات التي انبهر بها هذا الرحالة ولم تكن تُعرف عندهم في الصين[58]، وقد ساهمت هذه الرحلة في بلورة صور إداراكية أوضح عن العرب لدى الصينين، زيادة لما كتبه شين وقونغ تشن والثلاثة كانوا مرافقين للأدميرال تشنغ خه في رحلاته، وقد ألفوا على التوالي الكتب التالية: "مشاهدات رائعة وراء البحار الشاسعة"، و"تجولات في أقاصي الأرض"، و"سجلات البلدان في المحيط الهندي"، وكان لهذه الكتب الثلاث الدور الأساس في صياغة نظرة الصينين عن البلاد العربية والعرب بشكل عام، وقد صبغت الإيجابية نظرة المؤلفين الثلاث عن العرب.

وبالرغم من ظهور نزعة السيطرة عند أباطرة أسرة مينغ إلا أن العلاقة الصينية ـ العربية في معظمم مراحلها حافظت على طابعها التنافسي السلمي، ولم يحدث أن تجابهت القوتان في البحر من أجل التجارة، حيث لم تعرف الشعوب والحضارات الشرقية مفهوم "السيادة على البحر" إلا بعد مجيء البرتغاليين في بدايات القرن السادس عشر إلى المحيط الهندي ودخولهم عالم المنافسة التجارية مع المسلمين، فعندما وصل البرتغاليون بقيادة ألفونسو البوكيرك إلى ساحل الملايو حيث لاحظوا أن التجار العرب والهنود، والصينيين يتنافسون بحرية في أسواق ملاكا، تنافساً طبيعياً، وكانت سفنهم التجارية الصغيرة والكبيرة لا تعرف الحروب ولا تستعد لها[59]، وذلك تماشيامع نمط الاعتراف والاحترام الذي ساد العلاقات العربية الصينية منذ نشأتها رسمياً زمن الخلافة الراشدة. وبالرغم من سلاسة العلاقات الصينية الخارجية مع العرب والمسلمين في أغلب مراحل أسرة مينغ إلى أن المسلمين الصينين والتجار العرب المقيمين داخل الصين عانوا غير قليل من محاولات هذه الأسرة لاستعادة الهوية الصينية للحكم التي تراجعت أيام أسرة يوان المغولية التي اعتمدت على العنصر الأجنبي في الحكم، لذا فرضت الأسرة الجديدة جملة من القيود التي شملت الكثير من الأعراق والطوائف في الصين وعلى رأسهم المسلمين، من قبيل فرض نمط اللباس الصيني والكلام باللغة الصينية وإلزامية الزواج بإمرأة صينية، وغيرها من القوانين التي أثرت على الوجود العربي الإسلامي في الصين.[60]

### 5- علاقات القرن التاسع عشر والعشرين

دفعت التحولات الجيوسياسية التي سطرت تاريخ العالم ما بعد القرن السادس عشر من سيطرة البرتغاليين والإسبان على طرق التجارة العالمية بين الصين والمناطق العربية، وكذا توسع العثمانيين في الأراضي العربية وإعلانهم قيام الخلافة العثمانية سنة 1517م وعجزهم عن دحر تغوّل وعنجهية البرتغاليين و سيطرتهم على تجارة المحيط الهندي، وتركيز العثمانيين على ممتلكاتهم في شرق أوروبا والمناطق العربية إلى خفوت وربما موات العلاقات العربية الصينية خصوصاً بعد سيطرة العثمانيين على إمارة الأحساء القوية سنة 1547م، ولحقها ضمهم لليمن سنة 1528م بعد قضائهم على الملك عامر بن داوود آخر ملوك الدولة الطاهرية وسيطروا بذلك عن المخا وزبيد وعدن التي كانت تعتبر المنافذ البحرية للتجارة العربية مع الصين والهند وعصب العلاقات التاريخية التي قامت بين الطرفين.[61]كما أدت سيطرة بريطانيا على الهند وملايا والكثير من مراكز التجارة في بحر العرب والخليج العربي إلى انقطاع العلاقات العربية الصينية الرسمية نتيجة اختفاء السلطة العربية المركزية، ودخلت العلاقات العربية الصينية مرحلة سبات شديد لم تخرج منه إلا في مطلع القرن العشرين.

---

[54] Zhong-yang Yan-jiu yuan, Ming shi-lu, Chapter, 332 ,. 6 نقلا عن محمد محمود حليل، الخليج العربي والجزيرة العربية في الوثائق والوليات الصينية، ص

[55] محمد محمود، المرجع نفسه، ص 7.

[56] F.Hirth,Ancient Porcelain: a study in Chinese mediaeval in dustry and trade, reprinted the j.of the china branch of the r.asitat.soc,1888,p.58-60.

وكذلك يمكن الرجوع إلى: سليمان حزين، المشرق العربي و الشرق الأقصي، بغداد، منشورات وزارة الإعلام، 1977، ص 229.

(57) Tian Rukang (T'ien Ju-kang), "Cheng Ho's voyages and the distribution of pepper in China", *Journal of the Royal Asiatic Society* , .1981p,1- 52

(58)Pelliot, Paul, "Les grands voyages maritimes chinois au debut du XVe siecle", *T'oung Pao* ,1933 ,No. 30, pp 237-452

[59] ل. م. بانيكار، آسيا والسيطرة الغربية، ترجمة عبد العزيز توفيق جاويد وزارة الثقافة، دار المعارف، مصر، 1962، ص 33.

[60] E. L. Farmer, *Zhu Yuanzhang and early Ming legislation. The reordering of Chinese society following the era of Mongol rule* ,Leiden .1995P82

[61] Muḥammad ibn Aḥmad Nahrawālī Lightning Over Yemen: A History of the Ottoman Campaign in Yemen, 71-1569 p.81

لم يمس هذا الوهن السياسي المناطق العربي بمفردها بل تعداه إلى الصين التي تساعد الأوضاع فيها لدفع أي مبادرات قوية لترميم العلاقة مع العرب، وذلك نتيجة التحول السياسي الكبير الذي شهدته الصين بسقوط حكم أسرة مينغ وقيام حكم المنشوريين المعروفين بالمانشو( 1912-1644) ، والذين لم يكونوا على مستوى أسرة المينغ في تقبل التنوعات الدينية والثقافية في الصين لذا اعتمدوا سياسة انزوائية تقوم على التحفظ في العلاقات السياسية والاقتصادية، ورفض التنوع بأشكاله الثقافية والدينية، لذا اتسم عهدهم بالتنكيل بالمسلمين الصينين والتضييق عليهم مما حدى بالمسلمين إلى الثورة على السلطة الحاكمة كلما سنحت لهم الفرصة، فخلال الفترة من 1758 م إلى 1873 م انفجرت خمس ثورات كبرى قادها المسلمون في الصين، كثورة مدينة قانصو، ومقاطعة سنكيانج ، وثورة مقاطعة يونان ، ومقاطعة شانسي، وقد قضى عليها الأباطرة بوحشية[62]، كما لعبت الكوارث الصبيعية والهزائم العسكرية التي مني بها الصينيون في حروبهم ضد الأطماع الأوروبية، وبالتالي قبولهم قهراً بالمعاهدات غير المتكافئة التي كانت تفرض عليهم بعد كل هزيمة؛ دوراً في ازدياد عزلة المسلمين الصينين عن إخوانهم المسلمين في المناطق العربية. وزاد انشغال الدولة العثمانية بمتاعبها في شرق أوروبا وخسارتها للكثير من أراضيها بعد حركة القوميات ضدها الأمر سوءاً حيث حاول السلطان عبد الحميد الاستفادة من مسلمي الصين في مشروع الجامعة الإسلامية الذي أطلقه بدايات القرن العشرين، وذلك بإدخال مسلمي الصين في هذا المشروع فأرسل إلى الصين سنة 1900م أنور باشا للسعي في هذه المهمة، وهو الأمر الذي انتبهت له الامبراطورية الصينية واعتبرته تهديدً لأمنها وسعت لإفشال جهود أنور باشا الذي عجز في تحقيق شيء[63] سوى زيادة توتر العلاقات الإسلامية الصينية. وفي المضمار نفسه قام إمام مسجد بكين الشيخ إلياس عبد الرحمن بزيارة للسلطان عبدالحميد، مقترحاً إرسال بعثة إسلامية إلى الصين، وهو ما سارع السلطان الحميد إلى قبوله[64] مرسلاً كلا من السيدين حسن حافظ وعلى رضا إلى بكين حيث أسّسا مدرسة نيوكيه[65]، لكن جهودهما لم تثمر شيئاً حيث أثارت عليهما الصحافة الغربية زوبعة إعلامية متهمة إياهما بالتستر بالنشاطات العلمية من أجل نشر فكرة الخلافة وخدمة مصالح الدولة العثمانية، مما حدى بالحكومة الصينية إلى تتبعهما ومحاصرة نشاطهما[66]، وفي ظل غياب تمثيل ديبلوماسي رسمي للدولة العثمانية في الصين كما عليه الحال مع بريطانيا وفرنسا اللذين كان حضورهما الديبلوماسي قوياً في الصين، اضطر المبعوثان إلى اللجوء إلى السفارة الألمانية في بكين لما أحسّا بأن الحكومة الصينية تترصد بهما[67]، وحين عجزت السفارة الألمانية عن توفير خروج آمن لهما اضطرا إلى اللجوء إلى سفارة فرنسا التي تولت حمايتهما وترحيلهما إلى الآستانة. في هذه الفترة التي كانت الدولة العثمانية تغرغر النفس الأخير لها، مالت الكفة في الصين لصالح القوى الوطنية التي كانت تكافح لإسقاط حكومة أسرة المانشو، وتمكنوا قبيل نهاية الدولة العثمانية من إسقاط الإمبراطور وإعلان الجمهورية عام 1911م، لتبدأ صفحة جديدة مع العلاقات العربية الصينية التي ركدت في المرحلة العثمانية المانشية ركوداً يصل إلى درجة الموات.

استمت المرحلة اللاحقة باستعادة الروح للعلاقات بين الطرفين نظرا للعمق التاريخي للعلاقات بين الطرفين، ونظرا لحاجة الطرفين لبعضهما البعض خصوصاً في سعي الطرفين نحو التحرر والانعتاق من الهيمنة الغربية، وقد لعب المسلمون الصينيون دوراً بارزاًفي انجاح الحركة القومية الصينية ضد نظام المانشو الامبراطوري في بداية القرن العشرين، نظراً للعلاقة السيئة التي كانت تربط بينهم وبين حكومة المانشو. وكان من أهم أسباب عودة هذه العلاقات هو ظهور الصين كدولة حديثة مستقلة وبداية ظهور الكيانات السياسية الحديثة في المنطقة العربية بعيد انتهاء حكم العثمانيين، وكنتيجة للوضع الجديد وللحرية التي كفلها نظام صن يات صن الليبرالي الجديد تأسست جمعية مسلمي الصين عام 1912م في بكين ووصل عدد فروعها إلى أكثر من ثلاثمائة فرع موزعة في أنحاء الصين والتي ستلعب دوراً بارزاً في إعادة تجسير العلاقات العربية الصينية، كما وتأسست جمعية الأدب الإسلامي عام 1926م[68]، وبدأت الحاجة لنسج العلاقات العربية الصينية من جديد تنموا لتوفير حاجات هذه الجمعيات من تأطير وتدريب وتعليم من المدارس والجامعات المنتشرة في الدول العربية، فتم خلال هذه الفترة إرسال أعداد كبيرة من الطلاب الصينيين للدراسة في مراكز التعليم الديني مثل الأزهر وبلاد الحرمين و باكستان وسوريا وغيرها، وتم عقد اتفاق بين جمعية تنمية الدين الإسلامي في مقاطعة يونان وجامعة الأزهر في عام 1930م لإرسال الطلاب إلى الجامعة الأزهرية للدراسة في ديسمبر من عام 1931م[69]، وكنتيجة لهذا التبادل الثقافي "نشأت الجمعية الاتحادية الإسلامية لكل الصين" عام 1938م في مدينة هانيكو التي كان الكثير من مؤسسيها من خريجي الجامعات العربية[70].

أدى هذا الانفتاح الصيني وسياسة الاعتراف بالإسلام إلى نشأة أول علاقة سياسية ديبلوماسية حديثة بين الصين والعرب ممثلين في المملكة العربية السعودية التي دشنت علاقاتها بالصين سنة 1939، وكانت المملكة العربية السعودية سباقة في هذا المضمار نظراً لأسبقيتها التاريخية عن الكثير من الدول العربية الأخرى في التأسس والظهور، ونظراً لحاجة الصين لتنظيم رحلات الحج لمواطنيها المسلمين، الذين لم تنسى دورهم الوطني في حركة التحرر. ولم تمر 10 سنوات على قيام أول علاقات رسمية عربية صينية إلا واندلعت الثورة الشيوعية أ عام 1949م التي ستحدث انقلاباً ثنائياً مزودج المعايير مع علاقة الصين بمسلميها وعلاقة الصين بالعالم العربي، فمن جهة علاقة الصين بالعالم العربي فقد أثبتت وثائق الحزب الشيوعي الصيني أن العلاقات مع العالم العربي كانت ضمن أجندات الحزب منذ تأسيسه سنة 1922م، خصوصاً مع ظهور الصدام المبكر بين إيديولوجيا ماو وايديولوجية ستالين الشيوعيتين، وسعي الصين للبحث عن حلفاء لها مقابل قوة المد الروسي، حيث نصت استراتيجية الحزب الشيوعي الأممية على إدراك كامل لأهمية المنطقة العربية كونها ستلعب في المستقبل مسرح الصدام الأبرز بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي، وهو ما نبه إليه ماو قائلا: «سيطرة

[62] فهمي هويدي، الإسلام في الصين، الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، 1981، ص 8
[63] لوثروب ستوارد الأمريكي، حاضر العالم الإسلامي، القاهرة، المطبعة السلفية، 1924، ص 240
[64] فهمي هويدي، الإسلام في الصين، ص 105
[65] إسماعيل أحمد باغي ، تاريخ العالم الإسلامي الحديث والمعاصر، الرياض،مكتبة العبيكان، 1997، ج 1، ص 357
[66] لوثروب ستوارد الأمريكي، حاضر العالم الإسلامي ، ص 24
[67] فهمي هويدي، المرجع نفسه، ص 122.
[68] إسماعيل أحمد ياغي، تاريخ العالم الإسلامي الحديث والمعاصر ، ج 1 ، ص 358
[69] شيو يوان المسلمون الصينيون: أسئلة وأجوبة، د د، بكين، 1991، ص 190
[70] إسماعيل أحمد ياغي، المرجع السابق، ج 1، ص 358

أي قوة معادية على منطقة الشرق الأوسط ستحدد مصير العالم وكذلك مستقبل الصين كبلد مستقل»[71]، وهو التصور الذي طبع السياسة الخارجية الصينية مع الدول العربية التي لم تتأخر شعوبها في التضامن مع حقوق الشعب الصيني في الانفكاك من الهيمنة اليابانية، بدليل الاستقبال الشعبي الكبير الذي لقيه وفد صيني بقيادة الحاج عيسى ماوو لنغ في العديد من الدول العربية ما بين ديسمبر 1937م - يونيو 1940م، من أجل التعريف بالقضية التحررية الصينية وحشد التأييد لها ضد الغزو الياباني، وهي الزيارة التي احتفت بها جرائد ووسائل إعلام الحزب الشيوعي الصيني وتركت لديه انطباعاً حسناً عن مزاجية الشارع العربي وتجاوبه مع آمال الصينيين وطموحاتهم[72]. وقد عبّر القرار الرسمي العربي عن تماهي كبير جداً مع إرادة الشعوب العربية، حيث دعمت كل من مصر والمملكة العربية السعودية بشكل رسمي مطالب الصينيين، وأيدت مصر المقاومة الصينية لليابانيين بمجرد قبول عضويتها في عصبة الأمم سنة 1937[73]، كما ودعمت الحكومات العربية المقاطعة الشعبية للسلع والبضائع اليابانية، بل إن مصر الرسمية وتضامناً مع القوة الوطنية والديمقراطية في الصين أوقفت تصديرها للقطن المصري طويل التيلة لليابان، وذلك عام 1938م، وكانت مصر في تلك الفترة تصدر 60% من قطنها لليابان[74]. وبعد قيام النظام الشيوعي في الصين لم يتأخر التجاوب العربي مع هذا الحدث الأبرز في تاريخ الصين المعاصرة، ففي 9 أكتوبر عام 1949 أرسلت اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الجزائري إلى الرئيس ماوتسي تونغ برقية للتهنئة بتأسيس جمهورية الصين الشعبية، وذلك قبل حتى أن تستقل الجزائر، كما أرسلت كل من اللجنة المركزية للحزب الشيوعي التونسي واللجنة المركزية للحزب الشيوعي المغربي يوم 15 أكتوبر 1949 رسالة تهنئة بتأسيس جمهورية الصين الشعبية[75]. كما وقف العرب موقفاً مشرفاً مع الصين حين امتنعت كل من مصر، المملكة العربية السعودية، سوريا واليمن عن التصويت على قرار الولايات المتحدة الامريكية بإدانة الصين بسبب دعمها للشيوعيين في الحرب الكورية في 1 فبراير 1951.

وكانت الانطلاقة الحقيقية للعلاقات العربية الصينية بعد بروز تكتل دول عدم الانحياز عقب مؤتمر باندونغ أبريل 1955م، الذي فاجئت فيه الصين ممثلة بشو آن لاى رئيس مجلس الدولة؛ الدول العربية بوقوفها الصارخ والواضح مع كافة القضايا العربية وخصوصاً نضال الشعوب المغاربية والشعب الفلسطيني في لفتة رد جميل من طرف الصينيين لما قدمه لهم العرب إبان كفاحهم ضد اليابان[76]، فقد تجاوبت الصين مع نزعتها الثورية وأعلنت استعدادها اللامحدود لدعم حركات التحرر العربية عسكرياً وإعلامياً. وباشرت تجسيد توجهها وإرادتها التقاربية مع العرب بأن أرسلت رأساً بعد مؤتمر باندونغ عددا من الوفود التجارية والسياسية لكل من السعودية والعراق ومصر والسودان وسوريا، مما دفع الدول العربية لاتخاذ خطوة الاعتراف الرسمي بالصين، حيث سارعت كل من مصر واليمن وسوريا إلى الاعتراف بالصين سنة 1956، ثم المغرب سنة 1958م والجزائر في السنة نفسها، حيث قامت العلاقات الجزائرية الصينية حتى قبل استقلال الجزائر بين الحكومة الجزائرية المؤقتة والحكومة الصينية التي كانت أول دولة غير عربية تعترف بحكومة الجزائر المؤقتة،وتلى ذلك انشاء تونس لعلاقات كاملة مع الصين سنة 1964م، ثم موريتانيا سنة 1965م والكويت ولبنان سنة 1971م، ثم الأردن سنة 1977، ثم سلطنة عمان سنة 1978 والإمارات العربية المتحدة سنة 1984، ثم قطر سنة 1988، ثم البحرين سنة 1989، واكتمل التمثيل الدبلوماسي العربي مع الصين في عام 1990 وذلك بقيام علاقات دبلوماسية كاملة مع المملكة العربية السعودية.

### 6- تأثير الصور النمطية التاريخية المتبادلة عن العلاقات العربية الصينية.

تختزل العلاقات العربية الصينية الودية المعاصرة عصوراً من ثقافة التسامح والإعجاب المتبادل بين الحضارتين، نظراً للطبيعة الشرقية لكلا الطرفين القائمة على ثقافة التقبّل والتعايش مع الاختلافات مهما كان تنوعها، بخلاف العلاقات العربية الأوروبية أو الصينية الأوروبية التي طبعت منذ لحظاتها بلغة الصراع والتناحر. وقد انطبعت هذه الصور الإيجابية في الذهنية العامة والأساطير الشعبية الصينية التي كانت تتداول قصة الإمبراطور لي شه مينغ ( 599-649 م) أحد أشهر حكام أسرة تانغ الملكية، وتقول الرواية الشعبية الصينية أن الإمبراطور لي شه مينغ حلم ذات ليلة بنجم يلمع في السماء، وفي الصباح طلب من أحد وزرائه أن يفسر له هذا الحلم، فقال له بأن النجم الذي رآه هو النبي الذي أرسل إلى بلاد العرب، فأرسل الإمبراطور لي شه مينغ مبعوثاً إلى النبي محمد يدعوه للمجيء إلى الصين لنشر الدين، و تقول هذه الرواية بأن النبي محمد تعذر عليه المجئ و أرسل ثلاثة رسل إلى الإمبراطور توفي إثنان منهما بسبب مشقة السفر، بينما وصل ثالثهم بعد عناء سفر طويل فإلتقى الإمبراطور لي شه مينغ، و سأله عن النبي وعن الإسلام ثم أكرمه وأمر له ببناء مسجد يكرم هذه الزيارة ويدعى منه للدين الإسلامي[77]. وتتداول هذه الأسطورة الشعبية في صيغة أخرى في الأوسطا الشعبية الصينية مفادها أن الإمبراطور الصيني لي شه مينغ رأى في المنام وحشاً مخيفاً يريد أن يفترسه، وعند اقتراب الوحش منه ظهر رجل يلبس رداءاً أخضراً و عمامة بيضاء وفي يده مسبحة وقام بطرد الوحش بعيداً، وفي الصباح حكى الإمبراطور لوزرائه ما رأه في المنام و طلب منهم تعبير هذه الرؤية، فقال أحدهم "إن الوحش هو خطر ما يهدد دولتنا، و أما الرجل فهو النبي الذي ظهر في بلاد العرب، و إن بلادنا لفي حاجة له لتحقيق الأمن والاستقرار" فأرسل الإمبراطور لي شه مينغ رسولاً إلى النبي محمد يطلب منه أن يبعث رسولاً إليه لنشر الإسلام 78. هذه القصص وتلك من التراث الشعبي الصيني، تعكس الصورة التي انطبعت في الذاكرة العامة عن الإسلام والأمة العربية التي ظهر فيها هذا الدين، وزاد احتكاك الصينيين بالعرب في التجارة من تكريس وتعميق هذه النظرة، فمن جهة أعجب الصينيون أيما اعجاب بالانسان العربي والأمانة التي اتسم بها المسلمون في تجاراتهم

---

[71] جعفر كرار أحمد، العلاقات الصينية السعودية، 1949-2000، الكويت، مركز دراسات الخليج والجزيرة العربية، 2004، ص 34.
[72] جعفر كرار أحمد، الدبلوماسية الشعبية والعلاقات العربية الصينية، مجلة السياسة الدولية، العدد 167يناير 2007م، ص 84.
[73] محمد نعمان جلال، العالم العربي ودواعي التحاور الجاد مع الصين، مجلة الصين اليوم، العدد 4 لعام 2003 ص، 1
[74] جعفر كرار أحمد، الدبلوماسية الشعبية والعلاقات العربية الصينية، ص 89.
[75] فايزة كاب، العلاقات الصينية – العربية بين الماضي والحاضر، جريدة الشعب، 09 مارس 2010.
[76] جعفر كرار أحمد، المرجع السابق، ص 90
77 وليد عبد الله، النبي محمد في الثقافة الصينية، جردية الشعب الصينية، عدد 03 فبراير، 2012.
[78] وليد عبد الله، المرجع نفسه.

وأدركوا باكراً أهمية ملاطفة الدولة الإسلامية والحرص على عدم الاصطدام بها، أو مناصرة أي من أعدائها، فعندما استنجد فيروز ابن يزدجرد آخر ملوك آل ساسان بالصين لتنصره على العرب أرسل إمبراطور الصين تاوتسنغ سليل أسرة تانغ الملكية أرسل إلى الخليفة عثمان بن عفان سفيراً يدافع عن قضية الأمير الهارب، فأرسل عثمان الصحابي الجليل سعد بن أبي وقاص ليرافق السفير الصيني في طريق عودته سنة 651م، وعندما وصل المبعوث أكرم الامبراطور وفادته.[79] هذه الرواية يوردها الطبري عن يزدجرد نفسه قائلا أن يزدجر قد أرسل إلى ملك الصين مستنجداً بعد هزيمته في معركة «نهاوند»، فأرسل ملك الصين للخليفة يطلب الرفق بالقائد الفارسي، ويورد الطبري تفصيل الحوار الذي دار بين الامبراطور الصيني والمبعوث الذي أرسله يزدجر، وهو حوار يكشف إدراك الصينيين التام لقوة المسلمين وتفوقهم على من سواهم، ويكشف احترام الصينيين الشديد للدين الإسلامي الجديد، وتفهمهم للوضع السياسي الذي فرضه المسلمين على الفرس والروم على حد سواء، وبالتالي كان رد الإمبراطور الصيني واضحاً وصريحاً على رجاء يزدجرد حث كتب له يخبره:" «أنه لم يمنعني أن أبعث إليك بجيش أوله بمرو وآخره بالصين الجهالة بحق علي، ولكن هؤلاء الذين وصف لي رسولك صفتهم لو يحاولون الجبال لهدوها، ولو خلي بينهم أزالوني ما داموا على ما وصف».[80]

وستبرز هذه السياسة الصينية في احترام المسلمين والحرص على عدم الاصطدام بهم حين وصول جحافل جيوش الفتح الإسلامي بوابات الصين الغربية في عهد الخليفة الوليد بن عبد الملك (ت- 715م) عندما عبر قائد جيشه قتيبة بن مسلم نهر جيحون، منطلقاً من خراسان، إلى كشغار، وفرض تحدياً رهيباً على امبراطور الصين الذي استطاع بحنكة وحكمة تجنب الصدام بطريقة طريفة لايزال التاريخ يذكرها لليوم[81].

هذا التفهم والحرص الصيني على كسب مودة المسلمين وإن كان ذا دوافع دفاعية إلا أنه أثّر بشكل كبير في الصور الإدراكية للصينيين عن هؤلاء العرب المسلمين الذين باتوا سادة جغرافيا ما بين كشغار الصينية إلى الأندلس، واصطبغت هذه الصور الإدراكية بمعاني الإعجاب والتأثر والرغبة الصادقة في التعارف والتقارب ظهرت باكراً وتكرّست في محطات تاريخية عديدة تصل للعصر الحاضر. يورد منها القاضي الرشيد بن الزبير في القرن الخامس الهجري نموذجاً حين فصّل في أمر الرسالة التي وجّهها ملك الصين إلى معاوية بن أبي سفيان عندما تولى الخلافة، مرفقاً رسالته بهدية ثمينة وهي عبارة عن كتاب في العلوم، ودعوة صريحة للخليفة المسلم بإرسال مبعوث للصين يعرّف أهلها بالإسلام، جاء في الرسالة: "من ملك الأملاك الذي تخدمه بنات ألف ملك، والذي بنيت داره بلبن الذهب، والذي في مربطه ألف فيل، والذي له نهران يسقيان العود والكافور، الذي يوجد ريحه من عشرين ميلاً.

*إلى ملك العرب الذي يتعبد الله ولا يشرك به شيئاً.*

*أما بعد، فإني قد أرسلت إليك هدية، وليست بهدية، ولكنها تحفة، فابعث إلي بما جاء نبيكم من حرام وحلال، وأبعث إلى من يبينه لي"* [82].

هذا التواصل الحضاري سيكون له دور بارز كما يشير ابن الزبير في توطين العلوم والمعارف الصينية في البيئة العربية الناشئة، حيث يشير إلى أن هذا الكتاب الهدية صار إلى خالد بن يزيد بن معاوية، واشتغل بما فيه، ومنه بدأت حركة الترجمة والعلوم[83]، التي استوت في العصر العباسي على أشدّها. ولم تتوقف المحاولات الصينية للتعرف على الدين الإسلامي عند هذه المحاولة الأولى بل تلتها محاولات عديدة، حيث يورد اليعقوبي في تاريخه خبر وفد من الصين قدم زمن الخليفة عمر بن عبد العزيز إلى واليه على خرسان الجراح بن عبد الله المكي، يطلب من الوالي أن يرسل للصين من يعرفهم بالدين الإسلامي، وقد استجاب الوالي لطلبهم بأن أرسل لهم أحدى فقهاء خرسان وهو عبد الله الحنفي[84].

هذا الشغف الصيني للتعرف على الإسلام ترك في المخيلة الصينية صورة حسنة عن الإسلام وعن النبي محمد صلى الله عليه وسلم في سجلات الأسر المالكة، منذ زمن أسرة أسرة تانق في القرن السابع التي كالت سيلا من الأوصاف الحميدة للنبي الكريم، وصولاً إلى زمن أسرة المينغ في القرن الرابع عشر التي تجلّت فيها قمة الإعجاب بالنبي صلى الله عليه وسلم في سيرة مؤسسها الملك هونغ وو المعروف أيضا باسم "تشو يوان تشانغ" والذي حكم الصين ما بين (1368-1398م)، وكتب قصيدة في مدح النبي محمد صلى الله عليه وسلم، كما وكتب مائة عبارة في مدحه صلى الله عليه وسلم، وأمر الإمبراطور هذه الأشعار على جدران المساجد الجديدة التي كانت تشيد من طرف المسلمين[85]، وتكشف لنا رحلة القرشي حقيقة التقدير الصيني لمكانة النبي محمد خصوصاً عند ملوكهم، حيث زار القرشي في القرن التاسع الميلادي عاصمة الصين حينها خمدان، هروبا من ثورة الزنج سنة 869م التي أتت على الأخضر واليابس في العراق، وحين وصوله للعاصمة طلب مقابلة الملك مدعياً أنه من أهل البيت النبوة، مما جعل الملك يولي اهتماماً لطلبه، واستضافه في أحد قصوره، وأرسل إلى واليه في مدينة كانتون للتقصي عن صحة النسب الشريف لضيفه من التجار العرب الذين كانت تعج بهم المدينة التجارية، ولما أكّد والي كانتون صحة النسب الشريف للضيف سمح الملك للقرشي بمقابلته وأغدق عليه بالصلات والعطايا.[86] وما يورده القرشي في رحلته يعج بالانعكسات الايجابية للوجود العربي في الصين والصورة النبيلة التي يكنها الصينيون عن العرب، ومن بين الحوارات التي جرت بين القرشي والملك؛ ذلك الحوار قال فيه ملك الصين للقرشي: «*إنا نعد الملوك خمسة، فأوسعهم ملكاً الذي بملك العراق، لأنه في وسط الدنيا، والملوك*

---

[79] توماس أرنولد. الدعوة إلى الإسلام، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1970، ص 252

[80] الطبري، تاريخ الرسل والملوك، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، مصر 1961، ج 6، ص 167 – 168

[81] ابن الأثير، الكامل في التاريخ، دار الكتاب العربي، بيروت، 1967، ج4، ص 135

[82] القاضي الرشيد بن الزبير. كتاب الذخائر والتحف، تحقيق، محمد حميد الله سلسلة (التراث العربي 1)، دائرة المطبوعات والنشر في الكويت، الكويت 1959، ص 10 – 11

[83] القاضي الرشيد، المصدر نفسه. ص 11

[84] اليعقوبي. تاريخ اليعقوبي، دار العراق، بيروت، 1955 ج2 ص 302

[85] Maria Jaschok, Jingjun Shui .(2000) *The history of women's mosques in Chinese Islam: a mosque of their own* ,Psychology Press. p. 77

[86] السيرافي أبو زيد الحسن، رحلة السيرافي، تحقيق عبد الله الحبشي (مقدمة المحقق) المجمع الثقافي، 1999 ، أبو ظبي، ص 60-61 ، والمسعودي، مروج الذهب. ج1. ص 143

*محدقة به، ونجد اسمه عندنا ملك الملوك، وبعده ملكنا هذا عندنا ملك الناس، لأنه لا أحد من الملوك أسوس منه ولا أضبط لملكه من ضبطنا لملكنا، ولا رعية من الرعايا أطوع لملوكها من رعيتنا، فنحن ملوك الناس، ومن بعدنا ملك السباع وهو ملك الترك الذي يلينا، وبعدهم ملك الفيلة وهو ملك الهند، ونجده عندنا ملك الحكمة لأن أصلها منهم، وبعده ملك الروم، وهو عندنا ملك الرجال، لأنه ليس في الأرض أتمَّ خلقاً من رجاله ولا أحسن وجوها، فهؤلاء أعيان الملوك، والباقون دونهم»*[87]، ويتضح جلياً من الاقتباس السابق إعلاء ملك الصين لمرتبة الخليفة المسلم عن مكانته هو شخصياً ناعتاً إياه بملك الملوك، كما يؤكد السيرافي هذا التصور في مذكراته قائلا: «لأن أهل الهند والصين مجمعون على أن ملوك الدنيا المعدودين أربعة، فأول من يعدون من الأربعة: ملك العرب، وهو عندهم إجماع... أنه ملك أعظم الملوك، وأكثرهم مالاً، وأبهاهم جمالاً، وأنه ملك الدين الكبير (يقصد هنا الإسلام) الذي ليس فوقه شيء، ثم يعدّ ملك الصين نفسه بعد ملك العرب، ثم ملك الروم، ثم بلهر (أي ملك الهند)[88]. هذه الصورة التمجيدية للعرب استوطنت في الذهنية الصينية حتى في مراحل بروز النزعة القومية الصينية التمجيدية التي اعتبرت شعوب العالم عالة على الصين من ناحية الصناعة والفنون، حيث بقيت مكانة العرب عند الصينيين مرموقة وإن باتوا في الترتيب يحتلون المرتبة الثانية بعد الصينيين من منظور الثقافة الصينية، التي تعبر عنها المقولة التي انتشرت قبيل بداية عصر أسرة المينغ والقائلة:" أهل الدنيا ما عدانا عُمي، إلا أهل بابل فإنهم عور".[89]

هذا الاعتراف والتقدير ترجمه الصينيون في مناسبات عديدة كاستنجاد الإمبراطور الصيني بالخليفة العباسي أبو جعفر المنصور حين اغتصب ثوار منه عرشه وتنحى قهراً على الحكم لابنه سو تسينغ Suting (756م)، فطلب هذا الإمبراطور المعزول النجدة من الخليفة العباسي المنصور، وأجابه الخليفة إلى هذا الطلب بأن أرسل إليه كتيبة عربية، نجحت بمساعدته في استرجاع عاصمته سينغو Si-mqan-fu وهو ننفو Ho-nan-fu من أيدي الثوار، وقد أنعم الإمبراطور بعد استعادته على الكتيبة العربية وأغدق عليهم من ماله وأقطعهم أراضي كثيرة دفعت أغلبهم إلى عدم العودة إلى بغداد.[90]

ولم يقتصر التقارب الصيني من المسلمين على الحاجة السياسية فقط بل تعداه إلى الجوانب الاجتماعية ومحاولات التصاهر الملكي مع الأسر الإسلامية الحاكمة، حيث يذكر أبو دلف الخزرجي (ت-1001م) تفاصيل رحلته إلى الصين بتكليف من الأمير الدولة السامانية نصر الثاني بن أحمد الذي خطب ملك الصين حينها ابنته، فأرسل أبا دلف للاعتذار عن الطلب نظراً لأحكام الشريعة الإسلامية التي لا تسمح بزواج المسلمة من غير المسلم.[91] كما وردّ نصر الثاني الطلب بطلبه خطبة ابنة الملك لابنه الأمير نوح الساماني، فقبل أبوها وجهزها وأرسلها إلى خراسان ومعها مائتان من الخدم وثلاثمائة من الجواري والخصيان وتزوج منها نوح.[92]

قابل هذا التقارب الصيني العربي توغل للقيم والتأثيرات الثقافية لكلا الطرفين في بيئة الآخر، وتستوقفنا هنا العديد من التأثيرات الثقافية العميقة التي نقشها الوجود العربي الإسلامي في الصين دون أي تحرّج أو رفض صيني لذلك، حيث دفعت التنظيمات الإدارية التي اعتمدتها وباركتها السلطات الصينية لتنظيم الجالية العربية على أراضيها، والمتمثلة في منصب رئيس الجالية وضمان حق التقاضي وفق الشريعة الإسلامية بينهم، والحرية المطلقة للعبادة وتشييد المساجد كمسجد هواي تشينغ (مسجد الشوق إلى النبي) في مدينة كانتون، الذي بني من طرف التجار العرب والمسلمين الذين كانوا يرتادون الصين في تجارتهم، وكذا مسجد شينغ جينغ (مسجد الصفاء والطهارة) في مدينة الزيتون (يشوا انتشو) ومسجد شيان خه (مسجد الكركي الملاك) في مدينة بانغ تشو، ومسجد جين جياو (مسجد الدين الحنيف) في مدينة هانغتو، وهي مساجد تحولت إلى مراكز يتعلم فيها المسلمون الصينيون أمور دينهم واللغة العربية بمباركة من السلطات الصينية، التي وظفت سنة 961م مسلماً عربياً قدم من مكة للصين في عهد سلالة سونغ (960-1279م) لإعادة ترتيب التقويم الزمني بتكليف رسمي من الإمبراطور الصيني للاستفادة من التطور العلمي الكبير الذي كان تتمتع به الحضارة العربية في علم الفلك، وقد أنجز هذا العالم العربي مهمته بنجاح في سنتين، حيث أدخل لهم النظام الأسبوعي وكانت الصين قبله تعتمد النظام العشري، كما علمهم طريقة حساب مواعيد ومدارات الأبراج الاثنا عشر، وطرق حساب مواعيد الكسوف والخسوف، وتكريما له على هذه الجهود الضخمة منحه الإمبراطور لقب الشرف، وعينه رقيباً للمرصاد الملكي.[93]

وقد تكرست حركة التأثر والاستمداد الصينية هذه من الثقافة والحضارة العربية واتسعت بعد الغزو المغولي للعالم الإسلامي والصين على حد سواء وقيام حكم أسرة (يوان) في الصين (1271م- 1368م) واستخدامهم للمسلمين في تسيير شؤون الدولة[94]، حيث شغل ثمانية وأربعون مسلماً مناصب عليا في الدولة الصينية طيلة فترة حكم أسرة يوان المغولية للصين التي استمرت ثمانين سنة في الحكم.[95] وحافظ المسلمون على مكانتهم السياسية البارزة حتى تحت حكم أسرة المينغ التي قامت على أنقاض أسرة يوان، إذ تورد المصادر التاريخية أن مؤسس العائلة -السالف الذكر- الإمبراطور هونغ وو كان يحتفظ بعشرة جنرالات مسلمين كقادة كبار في جيشه.

وقد بلغ تأثير هذا الزخم العربي الإسلامي في الصين إلى إلى التأثير حتى في النمط العمراني على المدينة الصينية وتصاميم القصور والحدائق التي استلهمت النمط العمراني الإسلامي في الكثير من تفاصيلها، ويقرّ المؤرخون الصينيون أن مدينة بكين نفسها والتي بناها قبلان خان مؤسس سلالة يوان المغولية الحاكمة

---

[87] السيرافي المصدر نفسه. ص 61، والمسعودي المصدر نفسه. ص 143

[88] السيرافي، المصدر نفسه، ص 33.

[89] الثعالبي. لطائف المعارف، تحقيق إبراهيم الإبياري. حسن كامل الصيرفي، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة، بدون تاريخ، ص 220

[90] توماس أرنولد، الدعوة إلى الإسلام، ص 252

[91] حسين نصار. أدب الرحلة، ص 42.

[92] محمد محمود زيتون، الصين والعرب عبر التاريخ، سلسلة إقرأ 253 - دار المعارف، مصر، بدون تاريخ، ص 54.

[93] لي تشين شونغ، اطلب العلم ولو بالصين.الإسلام والثقافة الصينية. مجلة التسامح، سلطنة عمان. مسقط. (وزارة الأوقاف) عدد 7. صيف 204. ص 261.

[94] لي تشين شونغ، المرجع نفسه، ص 258 - 259.

[95] لي تشين شونغ، المرجع نفسه، ص - 260-259.

في الصين كعاصمة لدولته سنة 1279م، قد خطت من طرف المهندس العربي "اختيار الدين" الذي صمم منافد المدينة وحدائقها وقصورها[96]، مستلهماً في تصميمها مدينة بغداد كما يشير المؤرخ الصيني مايمنغ داو (ت- 1991م)، مشيراً في الوقت ذاته إلى أن معبد السماء في بكين حالياً من تصميم المهندس العربي نفسه[97]. وهو الأمر الذي أكده مؤرخ صيني آخر وهو تشين يوان خان (ت- 1971م) الذي أكد أنه قرأ في كتاب مؤرخ الأسرة المغولية الحاكمة في الصين يانغ شوان (ت - 1358م) أن المدينة المحرمة (بكين) صممت من طرف اختيار الدين سنة 1263م، وانطلق تنفيذ تصاميمه سنة 1264.[98]

كما فصّلت سجلات العائلة الملكية نفسها في خبر العالم العربي المسلم والخبير في صناعة آلات الرماية والقذائف الذي وصل بكين سنة 1271م بدعوة من قبلاي خان لتحصين المدينة بالمدافع والمعدات الحربية لحماية المدينة، وقد نفذ مهمته بجدارة استحق بها هو وفريقه ألقاب الشرف من طرف الإمبراطور[99]، كما امتد التأثر والاستمداد الصيني من الثقافة والحضارة العربية الإسلامية إلى ميادين العلوم والطب التي سجل فيها العالم لي شون lixun (855 - 930م) أزيد من مائة نوع من العقاقير الطبية الواردة من بلاد العرب والفرس إلى الثقافة الصينية. بينما يورد كتاب الطب الصيني الشهير "وصفات هوى هوى" أزيد من 232 نوعاً من الأدوية والعقاقير التي تعلمها الصينيون عن العرب.[100]

هذا عن الصور الإدراكية عند الصينيين عن العرب وتأثيرها في العلاقات البينية بين الطرفين، أما عن صورة الصينين في المخيلة العربية فهي لا تقل عن سابقتها احتراماً وتبجيلاً، حيث لم يقتصر العرب الذي كتبوا عن الصين وزاروها عن التجارة وظروفها بل نقلوا لنا تفاصيل عن الحياة العامة للمجتمع والنظم السياسية والخصائص الفكرية والانثروبولوجية للإنسان الصيني، وقد طبعت في أغلبها بمشاعر الإعجاب والانبهار لما عليه الشخصية الصينية من انضباط ودقة ومهارة وتفاني في العمل، وعملت هذه الكتابات على بناء شخصية الصين في المخيلة العربية بشكل سيؤثر في مستقبل العلاقات بين الطرفين، فمنذ سليمان التاجر الذي يعتبر أول الروّاد في تعريف العرب بالصين وحضاراتها تبرز النزعة التثقيفية في هذه الرحلة حيث لم يقتصر على وصف عالم التجارة في الصين وأسواقها بل تعرّض لنظام الحكم، وهيئة الملوك، ومراسيم البلاط مبدياً الكثير من الإعجاب في مشاهداته[101] ومما قاله في كتاباته إن "أهل الصين من أحذق خلق الله كفاً بنقش وصناعة، وكل عمل لا يقدمهم فيه أحد من سائر الأمم"[102].

كما ساهم القزريني وبشكل كبير في بناء هذا المخيل الإيجابي فبعد أن فصّل في الوصف الجغرافي لبلاد الصين ومياهها عرج واصفاً لأهلها قائلا: " ...وهي من أحسن بلاد الله وأنزهها، وأهلها أحسن الناس صورة، وأحذقهم بالصناعات الدقيقة، لكنهم قصار القدود عظام الرؤوس، لباسهم الحرير، وحليهم عظام الكركدن والفيل....».[103] كما كتب المروزي معلقاً عن أهل الصين وأناقتهم: " وهم ناس متأنقون في هيئتهم وملبسهم، حتى أن كل من كانت ثيابه أنظف وأحسن كان أكرم"[104]، وعكس في كتاباته صورة إيجابية جداً عن الصين والنظم التي كانت سائدة فيها.

وقد سحر الرحالة المسلمون وهيمن عليهم الإعجاب بالمدنية الصينية، وأبرزت تلك النظرة تفوق الصينيين في مجالات شتى، ولا سيما في تقنياتها الدقيقة، وصناعتها، وزخرفها وتصويرها، وفي ألبستها الحريرية الرائعة الإتقان، وثرائها، وفي النظام المدني الدقيق الذي يكتنف حياة سكانها، وفي تقسيم مدنها، وترتيبها لعلاقتها مع الغريب، والتاجر العابر للبلاد، هذا زيادة عن إعجابهم بطريقة إدارة سلاطينها، وملوكها للحكم ولأحوال الرعية.[105]. ولعل هذا الإعجاب العربي انعكس على النصوص التي ضمنت في كتب التراث على أنها أحاديث نبوية شريفة، حيث برزت واستمر هذا الإعجاب العربي إلى وصول ابن بطوطة في القرن الرابع عشر إلى الأراضي الصينية التي وصلها زمن عزّ الوجود العربي والإسلامي فيها زمن حكم أسرة يوان المغولية، التي مكنت للمسلمين من مفاصل الدولة، لذا حفلت رحلته بالكثير من الانبهار والاعجاب بما عليه الصينيون من تحضر وازدهار ودقة في الصناعة، وكان أكثر ما أبهره هو دقة رسومات فناني الصين وفنونهم التشكيلية، حيث قال واصفاً ذلك: "فأما التصوير فلا يجاريهم أحد في إحكامه، من الروم ولا من سواهم، فإن لهم فيه اقتداراً عظيماً، ومن عجيب ما شاهدته لهم من ذلك، أني ما دخلت قط مدينة من مدنهم، ثم عدت منها، إلاّ ورأيت صورتي وصورة أصحابي منقوشة في الحيطان والكواغد (ورق حرير)، موضوعة في الأسواق".[106] كما لم يفت ابن بطوطة أن يعبر عن اعجابه عن حسن إدارة الدولة في الصين والأمن الذي يستتب فيها حيث اعترف قائلا أن: (بلاد الصين آمن البلاد وأحسنها للمسافرين، فإن الإنسان يسافر تسعة شهور، وتكون معه الأموال الطائلة، فلا يخاف".[107] هذا النظام السياسي والإداري المحكم دفع بعض الرحالة العرب كالغرناطي الذي تأسف عن حال تدهور الأحوال في العالم الإسلامي في القرن الثاني عشر الميلادي وانخرط في مقارنة بين الحال الذي عليه النظام في الصين والحال الذي آلت إليه الأحوال في بلاد المسلمين وقال مما قال: إن "ملوكهم أهل عدل وإنصاف... إذا مات بينهم غريب وله أحمال من الأموال، لا يتعرضون لتركته... ويحترمون التجار من المسلمين غاية الاحترام، ولا يؤخذ

---

[96] لي تشين شونغ، المرجع نفسه، ص 271

[97] لي تشين شون، نفسه ص 270-271

[98] لي تشين شون، المرجع نفسه ص 271

[99] لي تشين شون، المرجع نفسه 269

[100] لي تشين شون، المرجع نفسه 266-267

[101] بدر الدين حي صيني، المصدر السابق، ص 49 - 50.

[102] السيرافي، المصدر االسابق، ص 60

[103] القزويني، آثار البلاد واخبار العباد، دار صادر، بيروت 1960، ص 53.

[104] المروزي، أبواب في الصين والترك والهند. طبع في بريطانية العظمى. من قبل W.HF.FFER وأولاده في كمبرج. لندن. 1942، ص 9.

[105] شمس الدين الكيلاني، صورة شعوب الشرق الأقصى في الثقافة العربية الوسيطة (الصين والهند وجيرانهما) منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، وزارة الثقافة – دمشق ،2008، ص 133.

[106] ابن بطوطة، تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، دار الشرق العرب بيروت بدون تاريخ ص، ص 488

[107] ابن بطوطة، المصدر نفسه، ص 491

منهم عشور في بيع أو شراء، ولا مكس" الله".[108] ويتأسف قائلا: "يا ليت ملوك المسلمين اقتدوا بهذه السياسة الحسنة، فهم كانوا أحق بها، ولكن ذلك لحكمة الله".[109]

هذه الصورة التي بناها المسلمون عن الصين وحضاراتها صمدت عبر فترات تطور العلاقة بين الطرفين، ولم تأثر فيها الأحداث التي تلت ثورة هوانج شو سنة 879م ضد الأسرة الحاكمة في الصين والتنكيل الذي لحق بالعرب في الصينجراءها[110]، حيث لم تطل الفترة حتى أرسلت الحكومة الصينية الجديدة في نهاية القرن العاشر للمناطق العربية معلنة إعادة صفحة الود في العلاقات".[111]

واستمرت هذه العلاقات الودية عبر العصور اللاحقة و كانت همزة الوصل الأكبر فيها بين العرب والصينيين هي رحلات الحج، ورحلات التجارة الخاصة، التي كان يقودها الحضارمة وتجار الخليج العربي إلى الصين زمن السيطرة البريطانية على البحار الواصلة بين بلاد العرب والصين، ولم تورد كتب التاريخ طيلة القرون الحديثة أي حدث عكّر صفاء هذه العلاقة بين الطرفين، إلى حين قيام جمهورية الصين الشعبية سنة 1949م، والتي تبنت الفلسفة الشيوعية في الحكم، ومارست الكثير من التضييق على المسلمين الصينيين داخل البلاد، لكنها لم تتوانى في التعبير عن إعجابها ودعمها ووقوفها إلى جانب القضايا التي كانت تشغل العالم العربي.

**خاتمة:**

لعله من المسلّم به بعد هذا العرض هو العراقة التاريخية للعلاقات العربية الصينية، وصمودها أمام صدمات التاريخ، منذ البدايات الأولى للعلاقات مع افتتاح طريق الحرير البحري والبري بين الصين وقلب العالم القديم الذي يتموضع العرب في القلب منه، مروراً بمرحلة الدولة الإسلامية الذي لعبت فيها الجزيرة العربية الدور الأكبر في أحداثها، ووصولاً إلى العصر الحديث الذي شهد بزوغ الدول القُطرية، والذي دشنته المملكة العربية السعودية بفتح باب التواصل الديبلوماسي مع الصين الجمهورية بعد أن سقط عنها حكم الأباطرة الذي صبغ كافة مراحل تاريخ الصين القديم والحديث. طيلة هذه المراحل الممتدة لم تشهد العلاقات العربية الصينية أي مطبات سوى ما ذكرنا سنة 751 م في معركة طلاس التي اضطر لها الطرفان، وكانت نتائجها إيجابية على كلا الطرفين سياسياً واقتصادياً، وثقافياً حيث أتاحت إدراكاً أكبر لكلا الطرفين لبعضهما البعض، وساهمت نتائجها السياسية والثقافية بشكل أساس في رسم الصور الإدراكية الايجابية لدى الصينيين على العرب، كما كرست الصور الإدراكية الإيجابية العربية عن الصينين، وعلى الرغم من الاضطراب الذي حدث في العلاقات بعد ثورة سنة 878م الداخلية في الصين إلا أن العلاقات سرعان ما تم استدراكها وإصلاحها نظرا لرسوخ النظرة الإيجابية عند الطرفين عن بعضهما البعض، واستمرت العلاقات على متانتها إلى حين قيام سقوط الحكم العربي وسيطرة العثمانيين على الخلافة، حيث لم يولي العثمانيين أهمية للعلاقات مع الصين بسبب سياسة التوسع في شرق أوروبا التي اعتمدها العثمانيون منذ بداية بزوغهم على صفحات التاريخ، في هذه الفترة خبت العلاقات العربية الصينية الرسمية، واقتصرت على العلاقات بين الدويلات والممالك العربية التي قامت على حواف المناطق التي يسيطر عليها العثمانيون أو كانت تحت سيطرتهم المباشرة، وهي فترة اتسمت عموماً بالركود الحضاري الإسلامي وبالتالي ميلان كفة ميزان العلاقات لصالح الصين بموازة العرب، كما اتسمت عموماً بخفوت روح الرحلات العلمية والاستكشافية العربية للصين وشعوبها مما قلّل من المادة الخبرية العربية عن شكل العلاقات وطبيعتها.

ومع بزوغ فجر القرن التاسع عشر والعشرين وبداية تشكل الهويات القومية والسياسية العربية استرجعت العلاقات بين الطرفين حيويتها، وكان للرصيد الإيجابي والصور الإدراكية القديمة المتبادلة بين الطرفين الدور الأساس في انطلاقة العلاقات بشكل سريع ومتين منذ لحظاتها الأولى، تترجم ذلك في حجم التعاطف العربي الكبير مع القضية الصينية في حربها مع اليابان، وفي دعم ثورتها الشعبية سنة 1949، إلى درجة أن بعض النخب العربية دعمت استقلال الصين قبل أن تنال دولها هي ذاتها الاستقلال، ولم يكن رد الصين بمختلف عن الموقف العربي، حيث أبدت تحمساً في دعم كل القضايا التي كانت تهم العالم العربي في فترة سعيه لتحقيق الاستقلال وفك تبعيته للقوى الغربية.

أمام هذه الصفحة الإيجابية للعلاقات الثنائية العربية الصينية قديمها وحديثها يطرح سؤال هل سيستفيد عرب القرن الواحد والعشرين من هذا الرصيد التاريخي في إقامة علاقات مع أعظم قوة سيعرفها العالم في الحقب القليلة القادمة.

---

[108] الغرناطي عبد الرحيم القيسي الأندلسي، تحفة الألباب ونخبة الإعجاب تحقيق اسماعيل العربي، دار الجيل، بيروت، ص 46

[109] الغرناطي المصدر نفسه، ص 46

[110] شوقي عبد القوي عثمان، تجارة المحيط الهندي في عصر السيادة الإسلامية، سلسلة كتب ثقافية للمجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت،1990، ص 195 وجورج فضلو حوراني. العرب والملاحة في المحيط الهندي في العصور القديمة وأوائل القرون الوسطى، ص 26

[111] ميتز. الحضارة الإسلامية، ج2 ، ص 356، وشوقي عبد القوي، المرجع السابق، ص 75

**References**

‘Abd Allāh Aḥmad Muḥayriz, 2000. Riḥlāt al-Ṣīnīyīn al-kubrá ilá al-Bahr al-‘Arabī, 1405-1433, Adan: Dār Jāmi‘at ‘Adan lil-Ṭibā‘ah wa-al-Nashr.

‘Abd al-Malik Tha‘ālibī, n.d. The Laṭā’if al-ma‘ārif, Dār Iḥyā’ al-Kutub al-‘Arabīyah, ‘īsá al-Bābī al-Ḥalabī wa-shurakāh.

Abd al-Raḥmān ibn ‘Alī Ibn al-Dayba‘, 1977. Kitāb Qurrat al-‘uyūn bi-akhbār al-Yaman al-maymūn, Cairo: Maṭba‘at al-Sa‘ādah.

Abd al-Raḥmān ibn ‘Alī Ibn al-Dayba‘, 1983. al-Faḍl al-mazīd ‘alá bughyat al-mustafīd fī akhbār madīnat Zabīd, Ṣanaa’ : Markaz al-Dirāsāt wa-al-Buḥūth al-Yamanī

Abū Zayd Ḥasan Sīrāfī, 1999. Akhbār riḥlat al-‘Arab wa-al-Furs il′a al-Hind wa-al-Ṣīn, Abu Dhabi : Manshurat al-Mujma' al-Tharafi.

Adam Mez, 1948. al-Ḥaḍārah al-Islāmīyah fī al-qarn al-rābi‘ al-hijrī, aw, ‘Aṣr al-nahḍah fī al-Islām, Cairo: Maṭba‘at Lajnat al-Ta’līf wa-al-Tarjamah wa-al-Nashr.

al-Balādhurī , 2007. Kitab Futuh al-Buldan, Beirut : Markaz Dirāsāt al-Adab al-‘Arabī, al-Ma‘had al-Akādimī

Azīz ‘Aẓmah, 1991. al-‘Arab wa-al-Barābirah : al-Muslimūn wa-al-ḥaḍārāt al-ukhrá, Riyāḍ al-Rayyis.

Badr al-Dīn Ḥay Ṣīnī, 1950. al-‘Alāqāt bayna al-‘Arab wa-al-Ṣīn, Qairo : Maktabat al-Nahḍah al-Miṣrīyah.

Bai, Shouyi, 2003. A History of Chinese Muslim, Beijing: Zhonghua Book Company.

Bernard Lewis, 1993. Islam and the West, Oxford: Oxford University Press.

Clifford E. Bosworth & Joseph Schacht, 1974. The legacy of Islam, new edition, Clarendon Press, Oxford.

Davis, Richard L., 2001. Chaste and Filial Women in Chinese Historical Writings of the Eleventh Century. Journal of the American Oriental Society.

Dubs, Homer H. (trans.), 1938. The History of the Former Han Dynasty. 3 vols. Baltimore: Waverly.

E. L. Farmer, 1995. Zhu Yuanzhang and early Ming legislation. The reordering of Chinese society following the era of Mongol rule, Leiden.

F. Hirth, 1888. Ancient Porcelain: a study in Chinese mediaeval industry and trade, reprinted the china branch of the Royal Asiatic Society.

Fahmi Huwaydi, 1981. Islam fi al-Sin, Kuwait: al-Majlis al-Watani lil-Thaqafah wa-al-Funun wa-al-Adab.

Fayṣal Sāmir, 1977. al-Uṣūl al-tārīkhīyah lil-ḥaḍārah al-‘Arabīyah wa-al-Islāmīyah fī al-Sharq al-Aqṣá, Baghdad: al-Jumhūrīyah al-‘Irāqīyah, Wizārat al-I‘lām.

Geoff Wade, 2009. China and Southeast Asia, London: Routledge.

George Fadlo Hourani, 1958. al-‘Arab wa-al-malāḥah fī al-Muḥīṭ al-Hindī fī al-‘uṣūr al-qadīmah wa-awā’il al-qurūn al-wusṭá, al-Qāhirah: Dār al-Anjlū al-Miṣrīyah.

Ḥusayn Fawzi, 1943. Sindibad Al-Qadim, Qair : Maktabat al-anğlū miṣriyyat.

Ḥusayn Naṣṣār, 1991. Adab al-riḥlah, Qairo: Egyptian International Publication.

Hyunhee Park, 2012. Mapping the Chinese and Islamic Worlds: Cross-Cultural Exchange in Pre-Modern Asia, Cambridge University Press.

Ibn al-Athīr, 1967. al-Kamil fi al-tarikh, Beirut: Dār al-Kitāb al-ʻArabī.

Ibn Baṭūṭah, 1999. Riḥlat ibn Baṭūṭah, Beirut: Dār al-Sharq al-Arabi.

Ignaty Yulianovich, 1987. Tārīkh al-adab al-jughrāfī al-ʻArabī, Dār al-Gharb al-Lubnānī.

Ismāʻīl Aḥmad Yāghī, 1997. Tārīkh al-ʻālam al-Islāmī al-ḥadīth wa-al-muʻāṣir, al-Riyaḍ : Maktabat al-ʻUbaykān.

K M Panikkar, 1962. Asia and Western Dominance, Cairo :Dār al-Maʻārif.

Lothrop Stoddard,1924. Ḥāḍir al-ʻālam al-islāmī, Cairo: al-Maṭbaʻah al-Salafīyah.

Luo Maodeng. 1985. annotated by Lu Shulun and Lan Shaohua, Sanbao Taijian xia Xiyang ji tongsu yanyi (Popular romance of the journey to the Western Ocean of the Three Treasure Eunuch), Shanghai: Shanghai Guji Chubanshe.

Muhammad ibn ʻAbd al-Raḥīm Ibn Abī al-Rabī, 1989. Tuḥfat al-albāb wa-nukhbat al-iʻjāb, Algeria: al-Muʼassasah al-Waṭanīyah lil-Kitāb.

Maria Jaschok, Jingjun Shui,2000. The history of women's mosques in Chinese Islam: a mosque of their own, Psychology Press.

Masʻūdī, 1984. Murūj al-dhahab, Cairo: al-Hayʼah al-Miṣrīyah al-ʻĀmmah lil-Kitāb.

Masʻūdī, 2000. Kitāb al-tanbīh wa-al-ishrāf, Damascus: Wizārat al-Thaqāfah

Muḥammad Maḥmud Zaytūn, 1964. al-Ṣīn wa-al-ʻArab ʻabra al-tārīkh, Dār al-Maʻārif.

Nicola A Ziadeh, 1998. Mashrikiyyat, fi Silat Tijara wa al-Fikr, London: Riad El-Rayyes.

Qadi ibn al-Rashīd Ibn al-Zubayr, 1959. Kitāb al-Dhakhāʼir wa-al-tuḥaf, al-Kuwai : Wizārat al-Iʻlām.

Šauqī ʻAbd-al-Qawī ʻUṯmān, 1990. Tijārat al-muḥīṭ al-hindī fī ʻaṣr as-siyāda al-islāmīya, al-Kuwait: al-Mağlis al-Waṭanī li-'ṯ-Ṯaqāfa wa-'l-Funūn wa-'l-Ādāb.

Shams al-Dīn Kīlānī, 2008. al-Ākhar fī al-thaqāfah al-ʻArabīyah : ṣūrat al-shuʻūb al-Sharq al-Aqṣá fī al-thaqāfah al-ʻArabīyah al-wasīṭah) al-Ṣīn wa-al-Hind wa-jīrānuhumā, Damascus: Manshūrāt al-Hayʼah al-ʻĀmmah al-Sūrīyah lil-Kitāb, Wizārat al-Thaqāfah.

Shawqī Ḍayf, 1987. Ar- Riḥlāt, Qairo: Dār al-Maʻarif.

Shoujiang Mi; Jia You, 2004. Islam in China, trans by Min Chang, China Intercontinental Press.

Suliman Ahmad Huzayyin, 1977. Arabia and the far east, Baghdād: al-Jumhūrīyah al-ʻIrāqīyah, Manshūrāt Wizārat al-Iʻlām.

Ṭabarī, 1961. Ṭārīkh al-Ṭabarī : tārīkh al-rusūl wa-al-mulūk, al-Qāhirah: Dār al-Maʻārif.

Ṭāhir Marwazī, 1942. Sharaf al-Zamān Ṭāhir Marvazī on China, the Turks, and India Arabic text circa A.D. 1120 , London, Royal Asiatic Society

Tan Ta Sen; Dasheng Chen, 2000. Cheng Ho and Islam in Southeast Asia. Institute of Southeast Asian Studies.

Yaʻqūbī, 1955. Tārīkh al-Yaʻqūbī, Beirut: Dar Iraq.

Yoan Cho, 1991. Chinese Muslims: Questions and Answers, Beijing.

Faiza Cab, 2010. Sino-Arab Relations between Past and Present, Shabb Newspaper, 09-03.